فيمتو بايت

2

فجوة الأهوال

سامية أحمد

أحمد السعيد مراد

(2)

فجوة الأهوال

الطبعة الأولى
1439 هـ
2018 م

اسم الكتاب: فجوة الأهوال
التأليف: سامية أحمد - أحمد السعيد مراد
موضوع الكتاب: مغامرات قصصية خيالية
عدد الصفحات: 78 صفحة
عدد الملازم: 5 ملازم
مقاس الكتاب: 12 × 17
عدد الطبعات: الطبعة الأولى
رقم الإيداع: 2017 / 27287

محفوظة جميع الحقوق

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع، والتصوير، والنقل، والترجمة، والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي، وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من الدار.

hakayaproduction@gmail.com
01551751909 - 01096476744

فيمتو بايت

سلسلة مغامرات قصصية خيالية

(2)

فجوة الأهوال

أحمد السعيد مراد **سامية أحمد**

ملخص العدد السابق:

رامي من أبرع وأقوى قراصنة الإنترنت، يطلق على نفسه لقب (أسطورة الموت والدمار)، يخترق كلّ المواقع ويضع عليهم رايته المميّزة بجمجمته المعروفة، يخترق جهازه جهةٌ غير معلومة، وتعطيه تحديات لكشف قدرته على تجاوز صعوبتها، وينجح فيها كلّها، وتأتيه هدية غامضة لنجاحه في ذلك عبارة عن جوّال عجيب غير معلوم الهُوية، تنطلق منه موجات كهرومغناطيسية هدفها السيطرةُ على عقله بشكلٍ تام، ولكن بمساعدة شريف طالب الهندسة الشجاع، يمكنه الإفلات من هذه السيطرة، وتحاول تلك المنظمة الانتقام منه، ويذهب أبوه ضحية لهذه المحاولة، ويبقى رامي للإقامة عند شريف هربًا منهم، ويحاول الوصول إلى تلك المنظمة عبر قدرته الفائقة في اختراق المواقع ليجد أنّ زعيمتهم ليست سوى فتاة صغيرة مقيمة بمصر! والتي تهدّده مباشرة، ويحاول الإيقاع بها، ولكن يطارده رجال المنظمة الأقوياء، وفي النهاية يتمكّنون منه ومن شريف، ويلقون بهما في بئر أحد المصاعد الإلكترونية من الطابق الخامس عشر، ولكن بدلًا من أن تستقر جثثهم بقاعه إذا بهم يختفون تمامًا بعد حدوث وميض غامض، وتكونُ المفأجاة باكتشاف د. شيرين حامد أن خلايا شريف قد تغيّرت خصائصها تمامًا بسبب تعرضه للإشعاع الصادر من ذلك الجوال الغامض، ممّا يوحي للدكتور محمد إسماعيل بنظرية غريبة تبرر ذلك الاختفاء العجيب، وبينما هو يقوم بأبحاثه عند بئر ذلك المصعد،

إذا بشريف ورامي يبرزان لـه مِـن العـدم.لمزيـد مـن التفاصـيل بالعـدد الأول مـن سلسلة فيمتو بايت بعنوان: (أسطورة الموت والدمار).

*****

ذلك الألم الهائل المسيطر على كل عضلاته

تمنى لو يستنشق جرعةً من الهواء، لكن ذلك الشعور الرهيب بالاختناق منعه، ضغط شديد على كلّ عضلاته، وكأنّ كل خلية من خلاياه تحترق وتذوب مخلفة ألمًا لا يُحتمل.

أهو الشعور بالرعب يواجهه لأول مرة؟ أم أنها تلك القوة الجبارة التى لا سلطان عليها؟

الجاذبية.. تلك القوة الرهيبة التي إن سقط في أسرها مخلوق؛ لا يمكن أن ينجو منها.

أيقن أنه هالك لا محالة، ومع صرخات رامي الهستيرية الفزعة والمعلق بذراعه كطفلٍ مُرتعب، تراءت له صورةُ أمه ودعواتها المحبة وابتسامتها الراضية، ومع تلك الصورة الجميلة المحبّبة إلى نفسه استسلم تمامًا لقدره وواجَه مصيره المحتوم بشجاعة.

ففي خلال ثوانٍ تعدّ على أصابع اليد الواحدة سيصطدم بالأرض، ويلقى حتفه الذي لا مناصَ منه، تحرّكت شفتاه بالشهادتين قبل النهاية، واستعدّ لألم الصدمة، لكنّ الصدمة لم تأتِ، بل سطع في عينيه ضوءٌ مبهر كاد أن يصيبه بالعمى، فأغلق عينيه بسرعة، وانتابه شعورٌ غريب بالارتجاج.

كان جسده يهتز بشكلٍ غريب كما لـو كانـت خلايـاه تنـتفض بشـكلٍ مرعـب، وكأنّ لحمه يكاد ينفصل عن عظامه، وجلدُه ينسلخ عنه، ثمّ شعر بحـرارة شـديدة تحرقه، وفي لحظةٍ تخيّل شريف أنه تحوّل إلى شهاب مشتعل يندفع بقـوة رهيبـة، عجز عن فتح عينيه حتى بعد أن بدأت قوة اندفاعـه تتباطـأ تـدريجيًّا، فقـد كـان شعوره بالاختناق يزداد، وسيطرت على عقله فكرةٌ واحدة..

هذا هو الموت، وتلك أعراض خروج الروح من الجسد،

وحتمًا سبب اختفاء صوت رامي أنه قد مات قبله.

وأدرك شريف أنه سيلحق به حتمًا مع ذلـك الإحسـاس الرهيـب الـذي سـيطر على حواسه. واستسلم شريف تمامًا لأقداره، وهو يردّد مِن جديد الشهادتين، لكنـه لم يستطع أنْ يكملَ الجملة فقد ابتلعه قاعُ بحر عميق مظلم.

*****

كانت رائحة الاحتراق تملأ أنفه، لكنه ليس احتراقًا عاديًّا، كانـت رائحـة عجيبـة للغاية، لم يكنْ يستطيع تركيز أفكاره ولا تنظيمها، فقد كان الدّوار العنيف يسـيطر على عقله؛ لذلك أبقى عينيه مغلقتيْن، ولكن أذنيْه حملتا له أصواتًا غريبة.

انتفض جسده بشدة مُطلِقًا شـهقة عنيفـة عنـدما انسـكب فجـأة فـوق رأسـه سائلٌ بارد، وملأت أنفه رائحةٌ كريهة،

فتح عينيه ليصطدم بوجوهٍ غريبة لم يرَها من قبل،

ما هذا؟ إنه لم يمت!!

ما زال بدنيا الواقع، ولكن.. أين رامي؟ كان السؤال يتردّد في عقله.

وما تلك الوجوه الغريبة؟!!

لم يكن هؤلاء مَن طاردوه وحاولوا القضاء عليه هو ورامي، صرخ أحدُهم في وجهه بكلماتٍ غير مفهومة،

عقد حاجبيه بشدة محاولًا أن يتبيّن ما يقوله، وأخذ عقله دقيقة كاملة قبل أن يتخلص مِن دواره، ويدرك أنّ من أمامه يتحدثون بالإنجليزية!

تفحّص وجوههم بحيرةٍ شديدة، ثم تحدث إليهم بالإنجليزية التي يجيدها تمامًا:

- مَن أنتم؟ أين أنا؟!

صرخ الطويل الذي يقف أمامه مباشرة: - أنا فقط مَن يسأل هنا، ما الذي أتى بك إلى هنا؟ ومِن أى جحرٍ عفن تكون؟ ومَن هذا الصرصار؟

نظر إلى حيث أشار، فرأى رامي مستلقٍ على وجهه لا يحرك ساكنًا، أخذ يتلفت حوله بحيرةٍ وخوف محاولًا أن يتبيّن.. ما هذا المكان الغريب؟ ومَن هؤلاء؟!

كان المكان يبدو كحارةٍ قذرة نصف مظلمة، وهو جالس على الأرض، والرجال يلتفون حوله من كلّ جهة، وعرف مصدر رائحةِ الاحتراق الغريبة، كانت مِن سجائرهم الغير عادية.

نهض واقفًا على قدميه، وحاولَ أن يحتفظ برباطة جأشه، فقال بشجاعة:

- أخبروني أولًا مَن أنتم؟ وما هذا المكان بالضبط؟

أمسكه الرجل من عنقِه، وضغطه ضغطة شديدة كادت أن تزهق روحَه وهو يقول بقسوة:

- لا أحبّ مَن يتظاهر بالشجاعة، أجبْ بسرعة قبل أن أمزق أحشاءك.

التفت الجميع إلى رامي عندما صدرتْ منه تأوّهات ضعيفة، وخفّ الرجل من ضغطه على عنق شريف،

وأدرك شريف أنّ استيقاظ رامي في هذا التوقيت يعني أن تزداد المشكلةُ تعقيدًا وبكاء وعويلًا، وبالفعل بدأ بكاؤه الفزع عندما جذبه الرجال وأوقفوه بجوار شريف عندما أمرهم قائدهم، تعلق رامي بملابسه وهو يبكي بخوف قائلًا:

- مَن هؤلاء؟ هل.. هل سيقتلوننا مِن جديد؟!

همس له شريف:

- اهدأ، إنهم ليسوا من رجال العصابة.

صرخ قائدهم صرخة غاضبة أفزعتهما:

- ماذا تقول؟!!

قال رامي برعب:

- لماذا يتكلم بالإنجليزية؟!!

ردّ شريف بسرعة:

- لأنه أمريكي.

صرخ القائد بعصبية:

- اصمتا، لا تصدر منكما كلمة إلا بالإنجليزية، والآن، أيها الذكي، أجب دون إبطاء: مَن أنتما؟ وما الذي أتى بكما إلى هنا؟

قال رامي بالإنجليزية وهو يبكي:

- سيدي، نحن غرباء، مِن مـ.

قاطعه شريف بسرعة:

- اصمت، إياك أن تخبره بأي معلومةٍ عنا.

اشتد غضب قائدهم، وجذب رامي من ملابسه ودفعه إلى الجدار، وسكب فوق رأسه زجاجةَ خمر، عندها فهم شريف طبيعةَ ذلك السائل البارد ذو الرائحة الكريهة الذي سُكب على رأسه عندما استفاق من غيبوبته، لكن الرعب تملّكه بعنفٍ عندما أشعل قائدهم قداحتَه، وهو يقول:

- اياك أن تتذاكى، لا أحدٌ يعبث معي هنا.

وقرّب القداحة من رامي الذي صرخ برعبٍ هائل مستغيثًا شريف الذي لا يعرف سواه مِن بين هؤلاء الوحوش، لكنّ شريف كانت عيناه في عيني قائدهم المجنون الذي كان مصرًّا في تلك اللحظة الرهيبة على إشعال النار في رامي، الذي يكاد أن يتفتّت قلبه رعبًا.

*****

- أنت ترتكب خطأ فادحًا.

قالها شريف بشجاعة، وهو يتفرّس في وجوههم القاسية، ثمّ أكمل بثقة:

- مارتن أيرون سيغضب بشدة، لا أعتقد أنك ترغب حقًّا في أن تعرف ما يمكن أن يفعله بك.

تجمّد الجميع تمامًا عندما سمعوا اسم مارتن ايرون، وتقدّم قائدهم مِن شريف، وقال بشكّ:

- هل تعرفه؟!

قال شريف بثقة:

- كما تعرفه أنت تمامًا.

صمت رامي متعجبًا من تصرفات شريف، أمّا القائد فضحك ساخرًا:

- خدعة ذكية، ولكنها لا تنطلي عليّ، أنّى لك أن تكون على علاقةٍ بالزعيم مالك الحي بأكمله؟! لا أعتقد بأنه يأوي جرذانًا مثلكما!

قال شريف بحزم:

- لم لا تسأله بنفسك؟!

تردّد القائد قليلًا أمام ثقة شريف بنفسه ورباطة جأشه، لكنّ أحد الرجال الآخرين اقتربَ منه وهمس في أذنه ببضعة كلمات، فاقترب من شريف، وقال بصوت يُنذر بالخطر:

- أتعلم ماذا سأفعل بك إن كنت كاذبًا؟

قال شريف بثبات:

- لن تستطيع فعل أي شيء لأنني لا أكذب.

قال الرجل:

- في ثلاث ثوانٍ لا غير، ودون أى خطأ أو تردد، ستخبرني باسم صديقته الجديدة، وإلا...

قال شريف بثقة وسرعة:

- ريتا.

ارتدت رأسُه للخلف بدهشة، وضاقت عيناه وكأنما فوجئ أن شريف صادق.

وأكمل شريف:

- أتريد أن تعرف أيضًا أنها من أميركا الجنوبية؟

خفض شريف صوتَه حتى لا يسمعه أحدٌ من الواقفين في المكان، وقال بلهجةِ تهديد:

- ولكنك لا ترغب بالتأكيد أن يعرف مارتن بما كنت تفعله معها ليلة السبت الماضي!

صمت القائدُ تمامًا، وهو ينظر لعيني شريف الذي بادلَه بنظرات التحدّي، التفت القائد فجأة إلى رجاله، وقال آمرًا:

- اتركوهما يرحلان.

ثمّ انطلق بخطوات غاضبة، وتبعه رجالُه بحيرة ودهشة دون أن يعترض أحدهم.

أخيرًا استطاع رامي أن يستردّ أنفاسه بصعوبة بعد زوال الغمة، وأخذ شريف يمسح حباتِ العرق التي تراصّت على جبينه بتوترٍ بالغ.

قال رامي بقلق:

- كيف فعلتها؟ ومَن هو الزعيم أيرون هذا؟! ومنذ متى ونحن هنا؟ وما الذي حدث لنا؟ وأين نحن أصلًا؟

قال شريف بتردّد:

- إنه توفيقٌ من اللـه، اسم جرى على لساني وأصاب، صدفة لا أكثر..

قال رامي مازحًا:

- بركاتك يا عمّ الشيخ، هلّا أخرجتنا مِن هذا القبر الملعون؟

قال شريف بقلق:

- في نيويورك والساعة الثالثة صباحًا، علينا أن نسير بحذرٍ كبير، فحيواناتُ الليل تنتشر الآن في الشوارع.

التفت إليه رامي بذهول:

- نيويورك! لقد متْنا في مصر، فكيف وصلنا إلى أمريكا؟!

قال شريف بحيرة:

- لا تسألني عن شيء الآن، فأنا مثلك تمامًا لا أفهم ماذا حدث، وماذا يحدث؟! لذلك عليك تأجيل أي سؤالٍ إلى أن نصل إلى مكانٍ آمن، أم تفضّل أن نبدأ النقاش الآن حتى ينضمّ إلينا اللصوص وقطّاع الطرق؟!!

ابتلع رامي لسانه مرغمًا، لكنّ عقلَه لم يهدأ لحظةً، وأخذ يغلي ويفور بكلّ الأسئلة الحائرة التي لا جوابَ لها..

ماذا حدث بعد أن فقد وعيه وهو يهوي في بئر المصعد؟! وكيف يفقد الوعي في مصر ويستيقظ ليجدَ نفسه في نيويورك؟!

وما الذي قاله شريف لقائدِ العصابة ليتركهم بهذه السهولة؟!

تبع شريف بصمتٍ لا يدري أين هو، ولا إلى أين سيذهب..

*****

لم يستطع رامي تحمّل ذلك الكبت طويلًا، وبمجرد أن خرج هو وشريف إلى شارعٍ كبير يمتلئ بالناس والسيارات والحياة؛ حتى بدأ مسلسل التذمّر:

- هلّا أخبرتني إلى أين نحن ذاهبان؟

قال باقتضاب:

- سنذهب إلى القنصلية المصرية.

قال ساخرًا:

- رائع، وإن كنا سنعودُ إلى مصر فما الذي أخرجنا منها من البداية؟

قال شريف بنفاذِ صبر:

- عندما أعرف سأخبرك.

قال رامي بغضب:

- انتظر هنا وتحدث إليّ، فأنا لست جوالًا تجرّه خلفك حيث ذهبت.

التفت إليه شريف، وقال بحدة:

- ما الذي تريده الآن؟! أتريد التشاجر؟ حسنًا.. سأمنحك الفرصة بمجرد أن نعود لمصر.

صرخ رامي:

- لا تصرخ في وجهي، أنتَ لست أبي لأطيعك دون أن أفهمَ أي شيء، عليك أنْ تخبرني الآن ما الذي أتى بنا إلى هنا؟

هتف شريف، وقد بلغ منه التوتر مبلغَه:

- لست مضطرًّا أن أجيبك الآن، وإن لم تسكت فسـ.

صمت شريف قليلًا عندما التقت عيناه بعيني رامي، ثم عقد حاجبيـه بشـدة، لكنّ رامي قال بحدة:

- ماذا؟! هل ستضربني؟! هيا.. اضربني، أرني شجاعتك هيّا.

لم يجبْه مباشرة، فقد كانت نظراتُه مركزة على عيناه،

التفّ بحدة وابتلع ريقَه بتوترٍ بالغ، وأخذ يمسح وجهَه بكفّيه ويستغفر عـدة مرات حتى هدأ قليلًا، ثمّ التفت إليه وقال بهدوء:

- رامي، اعلمْ أنني لا يمكن أن أؤذيك بأي شكل من الأشـكال، عليـك أنْ تفهـم الخطرَ المحدق بنا، نحن في مكانٍ غريب تمامًا بلا مال، ولا أوراق هويـة ولا أقـارب ولا معارف، لن نبدأ بالشّجار الآن ونحن نسيرُ في هذا الليل المخيف وتلك الشوارع الخطرة.

قال رامي بريبة:

- ومَن الذي أتى بنا إلى هنا؟

انتفضَ شريف بغضب بعـد أن شـعرَ بالإهانـة مـن شـكّ رامـي فيـه وصرخَ في وجهه:

- أيها الغبي، لست أنا مَن أتى بك إلى هنا، أتظنّني مِن العصابة التـي ألقتنـا في البئر؟! أتعتقد أنني اختطفتك وأتيتُ بك إلى هنا؟! ولأي سـبب؟! مـا الـذي أريـده منك؟! ألا تستطيع تشغيلَ مخّك العبقري؟! أتعتقد أنني أجنّدك لتكون جاسوسًا؟! أتظن أن د. إسماعيل ذلك الرجل العظيم زعيمًا لمنظمة غامضة؟!! أفقْ أيها الغبـي لقد متْنا معًا من قبل، متْنا وانتهى الأمر، فما الذي يمكـن أن يحـدث لنـا أكـثرَ مـن هذا؟!

حدّق به رامي بذهول بالغ، وفي رأسه سـؤالٌ واحـد انطلـق عـلى لسـانه قـائلًا:

- كيف عرفت كلّ ما أفكرُ فيه ويدورُ في عقلي بهذه الدقة؟!

هتفَ شريف بانفعالٍ شديد:

- لا تسألني عن شيء، لقد عرفتُ وفقط.

ثمّ أردف محاولًا تبرير موقفه:

- وجهك، وجهك الغبيّ وتعبيراتُك الساذجة أنبأتني بكلّ ما تفكّر فيه.. يا إلهي، كيف تتهمني بعد أنْ أنقذتُ حياتك؟!

ظلّ الاثنان يحدّقان ببعضهما البعض لدقائق كان فيها قلب رامي ينتفض رعبًا، فجأة ضحك شريف بتوتر:

- لا أصدّق، لا يمكن أن يكون عقلُك صغيرًا إلى هذه الدرجة، هـل أنـت مـدمن مشاهدة الأفلام الأمريكية؟! افهم أيها الغبي، أنـا وأنـت عالقـان في نفـس الكارثـة، ومصيرُنا الآن واحد، عليك أن تثقَ بي، المشكلة فقط أني أفقتُ قبلك.

قال رامي بخوف:

- إن كنت تريدني حقًّا أن أثقَ بك فعليك أن تخبرني كيف وصلنا إلى هنا؟

هتف بانفعال:

- أنني مثلك تمامًا لا أعرف أي شيء، ولا أفهم ماذا حدث، وإن كان هنـاك مَـن يجب أن يرتابَ في الآخر فهو أنا، أنا الذي كنت أحيا بلا مشاكلَ حتى هبطت أنتَ عليّ من السماء جالبًا معك كلّ المصائب المحيقة بنا.

هتف رامي بغضب:

- ماذا تعني؟

قال شريف بقسوة:

- أعني أنك سببُ كلّ المصائب أنت وهاتفك المحمول الذي لا أعلم من أي مصيبة أحضرته، والآن لا تتكلّم حتى نصلَ إلى السفارة.. أفهمت؟

صمت رامي تمامًا، وسار خلفَ شريف كظلّه، وحاولَ أن يسكت عقله بمبررات شريف التي لم يقتنع بها أبدًا، لكنّ عقله أبى أن يصدقَ أو يقتنع بأنّ شريف مجرد ضحية مثله، ولا يعرف كيف انتقلا من مصر إلى أميركا في أثناء غيبوبته،وبدأ عقله يرسُم بالفعل تخطيطًا منظمًا لكلّ ما حدث له، فهو ما زال مرتابًا في شريف ود. إسماعيل في أنهما منظمةٌ للجاسوسية تريد أن تخضعَه لها وتجنّده لحسابها، وقد يكون كلّ ما تعرض له هو محضُ حلم، أو وهْم. نعم.. هو وهُم ألقياه في عقله، والحقيقة أنهما اختطفاه في صندوقٍ وأحضراه إلى هنا!

ولكن لأي سبب؟ وماذا يريدان منه؟

لم يستطع شريف بكلّ ما قاله أن يقنعه أنه شخصٌ طيب، على العكس، لقد أكّد له شكوكه فلا مبرر واحد مُقنع من كلامه يمكن أن يصدّقه، لذلك فقد قررَ الهرب منه واللجوء للسفارة المصرية، والإبلاغ عن تلك المنظمة الرهيبة التي تريد تجنيدَه.

بدأت خطواتُه تتراجع وتتباطأ، واستغل عدمَ التفات شريف له وحثّه السير وشروده حتى مرّ بين جمعٍ من الناس أمام إحدى السينمات، واختلط رامي بهم ووقف يراقبُ شريف قليلًا حتى اطمأن أنه لم يلتفتْ

إليه، ولم يشعرْ بانفصاله عنه، ثمّ أخذ يجري عائدًا ثـمّ انحـرف في شـارع جـانبي، ودخل فيـه جريًـا، وكانـت فكـرة واحـدة تسـيطر عليـه وهـي أن يصـل إلى نهايـة الشارع، ويستقلّ سيارة أجرة إلى السفارة المصريـة، لكـنّ الشـارع كـان مظلـمًا ولم يتبيّن الأشياء التي تكوّمت بعرض الطريق إلا عندما تعثّر بها بالفعل، وسـقط عـلى وجهه، لكنه أدرك أنها لم تكنْ أشياء، بل كانوا بشرًا.. لم يتبين هـذا إلا عنـدما وجـد نفسَه محاطًا بهم، والعيون يقدحها الشرر، عندها أدرك أنه هالـكٌ لا محالـة، لكـنّ حبّ الحياة والرغبة في النجـاة جعلتـه يصرخُ بـأقرب اسـم جـاء عـلى عقلـه، ربمـا يسمعه ويأتي لإنقاذه.

*****

كان شريف يسير هائمًا شاردًا عن كلّ ما حولـه، كـل شيء حولـه يبـدو مخيفًـا، مرعبًا.

منذ اللحظة التي سقط فيها في بئر المصعد وهـو يشـعر أن كـلّ شيء في حياتـه انقلب رأسًا على عقب، لم يعدْ كما كان أبدًا.. ما الـذي حـدث لـه في بـئر المصـعد؟ وكيف تبدّل على هذا النحو، المفترض أنه لقي حتفَه بهذا السقوط المريـع، لم يكـنْ هناك أي سبيل للنجاة، لكنه لم يمت، هـو الآن لـيس ميتًـا، هـو الآن يسـير في أحـدِ شوارع نيويورك، يشعر بكلّ ما حوله، يتألم.. يسمع.. يرى، كيف جاء إلى أمريكا؟!

كان الشعورُ المسـيطر عليـه هـو الخـوف، الخـوف مـن أي شيء وكـل شيء، الخوف حتى مِن نفسه، ومن إجابات الأسئلة التي ملأت عقله، إنهـا نفس الأسئلة التي سألها رامي ولم يستطعْ هو الإجابة عليها بسـبب ذلـك

الشعور المخيف الذي ملأ أعماقه... كيف توصل لكلّ هذه المعلومات، وكيف عرف اسم مارتن أيرون هذا؟

أكثر ما يخيفه هو الإجابة عن هـذه الأسـئلة، والآن عليـه أن يخفـي خوفـه في أعماقه لكيلا يزيدَ من خوف رامي ورعبه.

رامي...

توقف فجأة عن التفكير، وانتبهت حواسّه كلّها، التفت خلفه يبحث عن رامـي بعد أن هاجمَه شعورٌ فظيع بأنه فقدَه، فصرخ بجزع:

- رامي.. رامي..

أخذ يجري عائدًا من نفس الطريق الذي كان يسيرُ فيـه، وقلبـه ملتـاع وعقلـه يرتجف رعبًا، لقد أدرك أنه فقد رامي في تلك المدينة المرعبة ليلًا، لكن ما كان يثـير فزعَه هو شعورٌ آخر سيطر عليه وهو أنّ رامي في خطر داهمٍ،

شعورٌ رهيب طغى على كلّ حواسّه لا يدري له سببًا،

كان موقنًا بأن رامي تركه بإرادته وهربَ منـه لارتيابـه فيـه، وأنـه يعتقـدُ بأنـه عضوٌ في منظمةٍ للتجسس تسعى لتجنيده، إذًا ما سرّ هذا الشعور الغريب بأنـه في أزمة رهيبة؟ ربما كان شعوره خاطئًا، تفجـر بسـبب خوفـه الشـديد مـن كـلّ شيء حوله.. لكنّ صوت صراخ رامي الفزع وهو يناديه لم يـترك لـه أي مجـالٍ للشـك في صدق مشاعره.

انحرف بسرعة إلى الشارع الجانبي ليفـاجئ بمجموعـةٍ مـن الرجـال يحـاصرون رامي الذي يكادُ يقتله الرعب، وقد أناروا الشارعَ المظلم بكشافات قوية..

صرخ فيهم:

- دعوه.

التفت الجميع نحوه، وصرخ رامي يستغيثُ به:

- شريف، أنقذني.

وقف شريف ثابتًا في مكانه، واثنان من الرجال يتقدمان نحوه، وهو يفكّر بسرعة كيف يتصرف، وكيف ينجو من ذلك الموقف الرهيب!

يبدو أنّ وجود شريف أعطى رامي بعض الشجاعة، فقرر أن يبادرَ بالتصرف هذه المرة ويقلّد ما فعله شريف، فرفع صوته متظاهرًا بالشجاعة:

- إياكم أن تلمسوه وإلا سحقكم مارتن أيرون كما يسحق البعوض.

لم يكن يتوقع رامي أن كلمته ستثير كلّ هذا الغضب والثورة في نفوس الرجال؛ فقد هجم الاثنان على شريف وجرّوه إلى جوار رامي وثبّتوه إلى الجدار بقسوة، وأشهروا سكاكينهم في وجهه هو ورامي..

لكنّ رامي استمرّ علّه ينجح:

- إن مارتن ايرون..

صرخ شريف فجأة بالعربية ليسكتَه:

- هلّا أغلقت فمك أيها البائس.

أطاعه رامي بخوفٍ، وابتلع لسانه في الحال، أخذ شريف يتفحّص وجوهَ الرجال الخمسة وسكاكينهم القاتلة، ثمّ قال بصوت مرتجف:

- ألا تريدون أن تعرفوا ماذا سيفعل مارتن أيرون هذه الليلة؟ ربما ينجح هذه المرة في اقتحام مقرّ النمر الأسود، أظنّه ينوي تفجيرَه لكيْلا تقوم له قائمة،

ترى هل وصل برجالِه الآن إلى هناك، ربما ينوي أنْ ينفّذ خطته قبل أن يشرق ضوء النهار.

كان رامي يحدّق به بدهشة عندما رأى كلّ الرجال قد صمتوا تمامًا يستمعون له بتركيز واهتمام، لكن ما فجّر الذهول حقًّا في أعماقه هو ما فعله الرجالُ الخمسة، لقد تركوهما وانطلقوا يركضون بغضبٍ هائل، واختفوا من الشارع.

قال رامي بسرعة قبل أن يسكتَه شريف:

- كيف عرفتَ أنهم من أعداء مارتن ايرون؟!

صرخ شريف فيه، وهو يحاول أن يخفي دموعَ الخوف التي ملأت عينيه:

- اخرس، لا أريد أن أسمع لك صوتًا.

أخذ نفسًا عميقًا، وتغلّب على دموعه وكبتَ خوفه الشديد في أعماقه، وقال بأمر:

- فلنتحرك الآن، يجبُ أن نصل إلى القنصلية المصرية قبل أن نُقتل هنا.

تراجع رامي والتصق بالجدار بخوف، وفوجئ شريف بردّة فعله، وعقد حاجبيه وهو يتأمّل الرعب الذي ملأ ملامحه، ثم قال بدهشة:

- أنت مجنون حقًّا لتفكر بهذه الطريقة.

قال رامي برعب:

- أخبرني أرجوك وكنْ صادقًا، هل أنت منهم؟!

قال شريف بضيق:

- أيها الغبي، أنا لم أختطفْك، لقد عشت معك المطاردة وألقي بي في بـئر السـلم معك، لست مَـن تظـن، أتعتقـد أننـي سـأنزع جلـدي لتجـد تحتَـه مخلوقًـا قبـيح الخلقة! لو كنت أريد إيذائك لتركتك لتقضي هنا بأيديهم، وانطلقت لحال سبيلي!

والآن علينا أن نتحرك بسرعة قبل أن يعودوا ثانية، ويجدوننا هنا نتجادل..

قال رامي بخوف:

- حاضر، سأطيعك في كلّ شيء تقوله، فقط أرجوك لا تؤذني.

زفر شريف بضيق هائل:

- يا إلهي.. كيف أفهمك؟!

صمت قليلًا،ا ثم التفت إليه وقال ساخرًا:

- من المفترض أن أكون سعيدًا الآن، فقد ترقّيت أخيرًا وأصـبحت كائنًـا فضـائيًّا متوحشًا يختطف البشر!

قال رامي بخوف:

- إذًا كيف تستطيع قراءة أفكاري؟!!

هتف بغضب:

- أخبرتك مِن قبل أنني لا أفهم شيئًا، ولا أعرف مـا الـذي حـدثَ هنـاك في بـئر المصعد، والآن.. أتودّ أن تأتي مع المخلوق الفضائي المرعب الذي اختطفك، أم تبقـى هنا لحين عودة أعداء مارتن أيرون عندما يكتشفوا الخدعة التي سقطوا فيها؟!

ابتلع رامي ريقه، ثم قال بتردد:

- سـ.. سآتي معك و.. ولكنـي أخشى أن نلتقـي في المـرة القادمـة مـارتن أيـرون بنفسه.

ابتسم شريف وقال:

- اطمئن، سأرسله إلى مقرّ النمر الأسود.

خرجا إلى الشارع الرئيسي، وهدأ رامي بعد أن اسـتطاع شريـف السـيطرةَ عـلى أبشع مخاوفه، وسار طائعًا خلف شريف الذي كـان شـاردًا تمـامً،ا وفكـرُه مشـغول وعقله يبحث عن طريقةٍ يتصل بها بدكتور إسماعيل علّه يجد لديه تفسيرًا لكل ما يحدث ليهدئ من روْعه.

*****

استقبلت د. شـيرين د. بـدر بقلـقٍ بـالغ، وقالـت بتـوتر: شـكرًا لمجيئـك بهـذه السرعة.

قال بقلق وهو يسير بجوارها في ممر إحدى المستشفيات الراقية:

- كيف حاله الآن؟

قالت:

- لقد استفاق بحمد الـلـه، وليسَ له طلب سوى أن يراك بسرعة.

قال:

- ما الذي أصابه؟

قالت بتوتر:

- لا أفهم ما الذي جـرى، لقـد صرخ صرخـةً أفزعتنـي وسـقط أرضًـا، فاتصـلت بالإسعاف ونقلناه إلى المستشفى على الفور.

قال:

- وما نتيجة التشخيص؟

قالت:

- لا شيء خطير بحمد الله، مجرد ضعف وإرهاق من قلة النوم وعدم انتظامه في الغذاء، لكنّ ما يحيرني بشدة أنه لم يكفّ عن الهتاف باسم شريف طوالَ فترة فقدانه للوعي، ألم تتوصّل إلى مكانهما بعد؟

قال بضيق:

- كلا، صديقي في الشرطة أجرى تحرياتٍ مكثفةً ولم يتوصل لشيء.

تمتمت بكلماتٍ غير مفهومة وهي تحثّ السير بجواره.

وصلا إلى إحدى الغرف فقرعت البابَ ودخلت، لكنها أصيبت بصدمة عندما وجدت د. إسماعيل قد ترك فراشه ويستعدّ للمغادرة.

هتفت بخوف:

- عمّاه، ما الذي تفعله؟! عليك أن تمكثَ في فراشك وتكمل علاجك المقرّر لك هنا قبل الخروج.

كان الإعياء يبدو جليًّا على وجهه، ولكنه تجاهل كل ما قالته، وقال للدكتور بدر:

- مرحبًا د. بدر، سعيد لأنك أتيتَ الآن لتخرجني من ذلك المكان.. هيا لتقلّني إلى المعمل.

خرج من الباب وسط ذهول الاثنين.. لكنّ د. بدر قال لشيرين:

- لا تقلقي، سيكون بخير إن شاء الله.

زفرت بضيق:

- هكذا هو، لا يهدأ ولا يرتاح طالما في رأسه شيء.

*****

هتف د. بدر باعتراض: د. إسماعيل، إنّ ما تقوله لا يمكن أن يصدقَه عقل.

لم يستطع أي إنسان إثبات تلك النظرية، وكلّ ما قيل عنها وحوْلها مجرد كلام نظري.

قال د. إسماعيل:

- وماذا عن تجربة فيلاديلفيا؟!

هتف د. بدر بانفعال:

- لا دليل واحد على صدقها، بل تمّ تكذيبها بشدة، وكلّ مَن سعى خلفها لم يستطع إيجاد دليلٍ واحد عليها.

قال د. إسماعيل:

- ذلك لأن الأمرَ دخل في لعبةِ السياسة والمخابرات، كان لا بدّ من إخفاء كل شيء عن تلك التجربة؛ لأنها تخصّ سلاح البحرية الأمريكي.

قال د. بدر:

- أتريد أن تقنعني أنّ أينشتين نجح بالفعل في إخفاء المدمرة الأمريكية.

هتف د. إسماعيل:

- تعلم أنّ الأقوال الجازمة والمؤكَّدة في عالمنا غير علمية، ولكني أستنتج أنه حاول جاهدًا تطبيق نظرية الحقل الموحّد في تجربة فعلية،

ولكن.. تجربة بهذا الكبر، وعلى هدف بهذا الحجم؛ بالتأكيد صادفتها معوقاتٌ رهيبة.

قال د. بدر بتفكير:

- حتى لو صدقت ما تقوله، مَن قال إن جسد الإنسان يمكن أنْ يتحمل ذلك المجال الكهرومغناطيسي الهائل؟!

لِمَ لمْ تعاود البحرية الأمريكية التجربةَ؟ ولِمَ تحاول إخفاءها والتستّر عليها بكل وسيلة؟!.. لأن طاقم السفينة أصيب بأضرار فادحة حتّمت إيقاف التجربة وعدم تكرارها ثانية.

قال د. محمد إسماعيل:

- وهذا ما كنت أقوله، إنّ التجاربَ في هذا المجال كانت تحتاج لمزيدٍ من الأبحاث والتجارب ودراسة الظروف الملائمة، ونسبة النجاح والفشل واحتمالات الخطورة قبل تعرض البشر لها، ولكن يبدو أنّ البحرية الأمريكية لم تعطِ أينشتين الوقت الكافي، فقد كانت تخوض حربًا ضارية ضد ألمانيا واليابان.

قال د. بدر:

- بالفعل لقد نشر أينشتين نظريته حول الحقل الموحد عام 1940، وبعدها بثلاث سنوات فقط استقطبته البحريةُ الأمريكية وتمّ تعيينه فيها لمدة عام واحد عجبًا!! هل تم تعيينُه من أجل تطبيق تلك النظرية فقط؟!

ردّ د. محمد إسماعيل بحماس قائلًا:

- ليس هذا فحسب، بل إن الوثائق الرسمية تقول إنه نقل مكتبَه في البحرية إلى فيلاديلفيا لحوالي شهر وعدة أيام فقط، أتصدق هذا!! البحرية الأمريكية كانت تعاني بشدة من الأسطول الياباني، لذلك كانت تسعى لابتكار سلاحٍ سري جديد لإخفاء مدمرة كاملة في عرض البحر، والهدف من ذلك هو مفاجأة الأسطول الياباني في المحيط الهادئ، لكن الجميع أنكروا وجود التجربة، ومن اعترف بها ادّعى أنها فشلت، البحرية الأمريكية حاولت التعتيم على التجربة وإخفاء كل شيء متعلّق بها، لكن الصحافة استعانت بشهادات مَن رأوا التجربة رأي العين، ممّا جعل البحرية الأمريكية تنفي بشدة، وتُنكر وجود التجربة من أساسها، وكلّ البحارة الذين كانوا على متْن المدمرة تمّ وضعهم في مصحّات للأمراض النفسية والعصبية، فهُم جميعًا يحملون شهادات بأنهم مصابون بأمراض نفسية، لتكون شهاداتهم مجروحة قانونيًّا، والأغرب أنّ كل مَن حاول التنقيب خلف تلك التجربة إمّا مات أو اختفى في ظروف غامضة!

قال د. بدر بعناد:

- كل هذا لا يثبت صحةَ النظرية، أعطني دليلًا واحدًا يعتمده عقلي.

قال د. إسماعيل:

- تعلم أنّ أينشتين أعلن بعدها بعامين أنّ لديه نتائج تجريبية مقنعةً للغاية عن العلاقة بين القوي الكهرومغنطيسية والجاذبية الأرضية، لكنّه لا يستطيع إيجاد دليل رياضي واحد على قوله هذا، أشكّ بأن تجربة فيلاديلفيا التي قام بها هي التي دفعته لقول ذلك.

قال د. بدر باعتراض:

- لقد عارضه كلّ العلماء، ورفضوا نظريةَ الحقل الموحد وحتى الآن لم يستطع إثباتها أحد، ولا إيجاد دليل واحد على نجاحها.

برقت عينا د. إسماعيل بشدة، وقال:

- لو صح استنتاجي؛ فقريبًا جدًّا سأجد هذا الدليل.

قال د. بدر بدهشة:

- أتقصد...

قاطعه د. إسماعيل قائلًا:

- نعم، إنهما شريف ورامي.

هتف د. بدر بانفعال:

- ما الذي تريد إثباته؟! أتريد أن تقول إن شريف ورامي اختفيا بسبب تأثّرهما بمجال مغناطيسي قوي؟!

قال بتأكيد:

- لقد كان ينقصني دائمًا جانبٌ في هذه النظرية، وهو الإشعاع النووي المحدود، لقد وجدته في خلايا شريف، لقد رأيت بعينيّ معجزة.. معجزة حقيقية، وبالتأكيد رامي مثله!

هتف د. بدر باستنكار:

- أتعلم ماذا تعني كلماتك هذه؟! أنهما انتهيا بالفعل تحت تأثير الإشعاع، ما مِن جسم بشري يمكنه أن يتعرّض للإشعاع ويبقى سليمًا، لو اعترفت بصدق نظريتك؛ إذًا فعليّ الاعتراف ضمنًا بموت شريف ورامي.

صرخ د. إسماعيل بانفعال:

- كلا.. سيعودان إن شاء الـلـه.

أشار إلى عقله وقال:

- أشعر بهما هنا. صورة شريف لا تفارق عقلي، وأحيانًا أسـمع صـوته ينـاديني كما لو كان بجواري.

عقد د. بدر حاجبيْه بقلـق، وانتابـه إحسـاس بـالخوف عـلى صـديقه، لكنـه لم يتحدّث بما يشعر به.

أكمل د. إسماعيل بثقة كبيرة:

- أنا متأكد أنهما سيعودان، يجب أن يعودا، وعندها سـيبدأ البحـث الحقيقـي والتجربة الفعلية.

*****

كان شريف يجلس على الأرض مسندًا مرفقيه إلى ركبتيه مشـبكًا كفّيـه يراقـب ضوء الشمس وهو يشرق في السماء، ولسانه يتمتم بالتسـبيح والاسـتغفار بعـد أن أدّى صلاة الفجر هو ورامي في تلك الحديقة التـي وصـلا إليهـا بعـد طـولِ سـيرٍ لم يكفّ فيه رامي لحظةً عن التـذمر والشـكوى، لكـنّ شريـف كـان صـبورًا معـه إلى أقصى درجة.

قال رامي وهو يفترش الأرض ينظر إلى السماء متخذًا مِن كفّيه وسادة:

- شريف، أهذا حلم؟!

شريف:

- ماذا؟

رامي:

- هل نحن داخل حلم، وسنصحو منه قريبًا؟!

- لا أدري، ماذا تعتقد أنت؟

- أعتقد أننا في حلم، كلّ ما حدث ويحدث ليس حقيقيًّا، قل لي إنني سأستيقظ على صوتِ صراخ أبي لأجد نفسي في فراشي، وقد نسيت كابل الكمبيوتر في مقبسه الكهربائي.

قال شريف بهدوء:

- ليت كلّ المشكلات تحلّ بالاستيقاظ من النوم، ولكني أستطيع أن أنهالَ عليك بالصفعات المؤلمة، ولن تستيقظ أبدًا؛ لأننا في الواقع المؤلم مستيقظون بالفعل.

قال رامي بإحباط:

- لقد متْنا، أليس كذلك؟

شريف:

- ولكني لم أرَ أيًّا ممّا وصفه لنا الرسول، صلى الله عليه وسلم، عن أحوال الموت والموتى.

قال رامي بشرود:

- ربما كانت أرواحُنا هائمة لا تقرّ في مكان.

- وماذا عن العصابات الليلية التي تعثرنا بها؟! ومارتن ايرون؟ أهو روح شريرة؟!

قال رامي بضيق:

- لم لا تفصح عمّا في عقلك؟ ما هو تبريرُك لكل ما نحن فيه الآن؟! هل انتقلنا عبر الزمن؟!

قال ساخرًا:

- كيف يا ذكي؟! إننا في نفس الزمن، ألم ترَ بنفسك الساعة الإلكترونية في الميدان الكبير!، لم يمرّ علينا سوى يوم واحد منذ غادرنا مصر.. ولكن!..

انتبه رامي لتغير لهجته فهبّ جالسًا وقال:

- ولكن ماذا؟ هل توصلت لشيء؟

قال بحيرة:

- لقد ألقينا في البئر بعد المغرب بقليل، أي أنّ الساعة كانت بعد الثامنة، ربما التاسعة، وعندما استيقظنا هنا كانت حوالي الثانية والنصف أو الثالثة صباحًا.. يا إلهي؟! أهذا معقول! أيمكن هذا؟!

هتف رامي:

- أخبرني فيمَ تفكّر قبل أن أجنّ.

قال: فارق التوقيت بين مصر وأميركا حوالي سبع ساعات، أي أننا انتقلنا إلى هنا في..!

في لا وقت!

اتسعت عينا رامي بذهول وصمتَ تمامًا، طال الصمت بينهما، ولم يجرؤ أحدُهما على التحدّث للآخر، لكن في النهاية كان عليهما مغادرةُ الحديقة للبدء بالرحلة الطويلة نحو القنصلية.

لم يكن في ظنّهما أنهما بمجرد مغادرة الحديقة سيبدأ بالفعل أسوأ كابوس يمكن أن يواجهَهما في حياتهما،

وهل هناك أسوأ من رؤية مارتن أيرون بنفسه؟!

لم يستطع رامي أن يصدّق أذنيه عندما نطق شريف، وقال للرجل الأسود الطويل الذي خرج لتوّه من واحدة مِن السيارات الضخمة التى وقفت أمامَهما وأحاط بهم رجالٌ ينضح الشرّ من ملامحهم:

- مرحبًا سيد مارتن ايرون، مِن الجيد رؤيتك الآن.

ضاقت عيناه وقال ببطء:

- أنت تعرفني إذًا رغم أنك غريب عن هنا! لقد اختصرت نصف المسافة، وسأختصر أنا الباقي، في مملكة ايرون، لا يمكنكما الهرب، فعيوني في كلّ مكان تراقبكما من أعلى، ما مِن حشرة تدبّ في هذا المكان إلا وأعلم ما هي؟ وماذا تريد؟ وعدد دبات أقدامها الكثيرة بدقة، والآن ستخبرني بكلّ المعلومات الصغيرة قبل الكبيرة عنكما وعمّن أرسلكما إلى هنا.

هتف رامي بسرعة:

- إنه..

صرخ شريف في وجهه قبل أن ينطق باسم النّمر الأسود:

- اخرس، إياك أن تنطق.

نظر شريف لمارتن، وقال بتحدٍّ:

- إن كنت حقًّا ملك هذا الجزء من العالم، وتوصّلت إلى مكاننا عن طريق الكمبيوتر المتّصل بالأقمار الصناعية؛ فكيف لم تكتشف مَن نحنُ حتى الآن؟ رغم كلّ إمكانياتك الهائلة وعلاقاتك الواسعة؟!

قال مارتن ساخرًا:

- حقًّا لم أعلم مَن أنتما.. هذا غريب، أليس كذلك؟

ثم ضاقت عيناه وهو يقول بخبث: لكنه يجعل قتلَكما أسهل بكثير.

قال شريف بتحدٍّ:

- بالتأكيد، فشعارك هو.. إن أردت قتل رجلٍ فمن الأفضل ألّا تعرفه ولا تعرف مَن وراءه، أليس كذلك؟!

قال مارتن بعجب:

- إذًا فأنت بالفعل منهم.

قال شريف بثقة:

- نعم، لم يعدْ هناك مجال لإخفاء أي شيء، ونحن أمام مارتن أيرون بنفسه، بالفعل نحن عميلان للشرطة السريّة.

صمت مارتن قليلًا، وحدّق في عينيه، ثمّ ضحك ضحكة ساخرة صغيرة، أخذت تزداد وتعلو حتى صارت قهقهات عالية، ثم قال بتهكم:

- لو كنت حقًّا عميلًا في الشرطة السرية؛ لعلمت أن لدي قوائم بكلّ عميل هناك وصورتُه وكلّ معلومة عنه، كما أن لدي رجالي هناك يخبرونني بكلّ نفس يتنفسه عملاء الشرطة، وكلّ خطوة يخطوها أحدهم.

قال شريف:

- بالتأكيد، فكمبيوتر جهاز الشرطة بأكمله مخترَق مِن قِبَل رجالك.

قال مارتن بصوت عال:

- بات، تعالى.

خرج أحدُ رجاله من إحدى السيارات، وبيده لابتوب وضعَه على مقدمة السيارة، وبدأ يعمل عليه، نظر مارتن في عيني شريف، وقال:

- الآن سنعرف إن كنت عميلًا سريًّا في الشرطة أم لا. صمت شريف تمامًا، وأخذ يفكّر فيما يمكن أن يفعله للخروج مِن تلك المصيدة التي أحكمت حولهما، فبعد أن أوهم مارتن أنهما عميلان في الشرطة السرية لن يستطيع أن يتراجع.

لقد حوّل شك مارتن وريبتَه فيهما إلى حقيقة، لكنه لم يكن يظنّ أن جهاز الشرطة مخترَق إلى هذه الدرجة، وأن مارتن أيرون روض كلّ رجال الشرطة في منطقته، فمَن ليس معه.. ليس ضدّه.

حتى النظيف الذي لم يستطع رشوته، نجح في إخافته وتهديده ليبتعد عن طريقه، بل وضعَ عليه رقابةً من زملائه لا يفلت منها، أمّا كمبيوتر الشرطة فلديه كلّ الإمكانات التي تمكّنه من اختراقه، وكشف كلّ ما فيه.

لقد أمّن مارتن أيرون نفسه إلى درجة أنه يسير في الطرقات بوجهٍ مكشوفٍ، ولا أحد يفكر حتى بالتعرض له.

أخذ رامي ينظر لشريف وهو يرتجف رعبًا، وهمس له:

- لا تقل لي إنّك لن تستطيع حلّ تلك المصيبة الجديدة التي وقعنا فيها.. هيّا، العب لعبتك وحاول أن تكشف ما برأسه.

همس بضيق:

- مشكلتي الآن ليست معه، بل مع الكمبيوتر. إنه يبحث عن سجلاتنا في الشرطة، ويجب أن يجدها وإلا..

ارتجف جسد رامي رعبًا مع كلمة (وإلا..)

وأغمض عينيه بقوة، وهو يبتهل إلى اللـه أن ينجيهما.

مرّت الدقائق عليهما طويلةً ومرعبة، حتى رفع "بات" رأسه وقال لمارتن:

- يؤسفني أن أبلغك..

اتسعت حدقتا شريف بتوترٍ وهو يرى "بات" يدير شاشة اللابتوب باتجاههم، لكن توتره انقلب إلى ذهولٍ عارم عندما رأى صورته على الشاشة، وبجوارها صورة رامي

وصوتُ "بات" يدوّي في أذنيه:

- إنهما صادقان.

التفت له مارتن بدهشة، وكأنما لم يكن يتوقّع ذلك، وأخذ يتأمّل الصورتين بدقة.

أخفى شريف مشاعره بداخله، والتقتْ عيناه بعيني رامي الحائرتين للحظة، ثم عاد ينظر لمارتن في انتظار ما سيفعله بهما، وتحمّل بصبر ذلك الصمت المخيف منه، حتى قال أخيرًا: أنت صادق حقًّا فيما قلته، وأنا لا ضغينة بيني وبين الشرطة. لقد كنت جريئًا للغاية، جريئًا أكثرَ ممّا ينبغي، وبقدر إعجابي بجرأتكما، بقدر ما يؤسفني حقًّا ما سأفعله.

أخرج أحدُ رجاله مسدسًا، وصوّبه باتجاههما وأعده للإطلاق، وأسقط في يدي شريف، وكادت روح رامي تخرج من حلقه رعبًا.

*****

هتف رامي فجأة، وبطريقة أذهلت شريف نفسه:

- هاي.. هاي، إن كانت لا ضغائن بينك وبين الشرطة فلِمَ تبدأ بالعداء؟! لمَ لا يزدادُ عددُ عملائك في الشرطة اثنان؟

نظر إليه مارتن قليلًا، ثمّ قال:

- ألا ترى أنّ قتلكما أرخص بكثير؟

قال شريف:

- ربما تخسر بقتلنا أكثرَ ممّا تعتقد، فمَن سيثق بك بعد الآن؟ إن كنت لا تحبّ الضغائن بينك وبين الشرطة؛ فلم تبدأ بكسر المعاهدة التي بينك وبينهم؟!

قال مارتن بخبث:

- أنتما مَن بدأ، لا أحد يقتحمُ مملكتي ويتحدّاني بهذه الطريقة وينجو.

قال شريف:

- لمَ تسمّيه تحديًا؟! ألا يمكن أن يكون محاولة للفْتِ انتباهك لنا؟

ضاقت عينا مارتن، وهو يفكّر في كلمات شريف، ثم قال ببطء:

- سأفعل شيئًا تتذكرا به مارتن أيرون إلى آخر عمريكما، سأترككما ترحلان.. ولكن، أحذّركما من محاولة الاقتراب من مملكتي، أو أي لعبة غبية تقدمان عليها.

قال شريف بثقة:

- لا أعتقد أن أي لعبة جديدة يمكن أن تنجح بعد أن أصبحت وجوهنا مكشوفة لكلّ رجالك.

قال مارتن وهو يهز رأسه:

- أنت ذكي.. هيا، اختفيا الآن من أمامي.

سار شريف ورامي بخطوات ثابتة حتى نهاية سور الحديقة، وبمجرد أن انْحرفا من جوار السور حتى هتف شريف، وهو يطلق ساقيه للرياح:

- اجري.

جرى رامي خلفه بأقصى طاقته والدهشةُ تغرقه، حتى انحرفا في شارع جانبي، وبدأت سرعتهما تتباطأ وهتف رامي بدهشة وهو يلهث:

- ماذا حدث؟

أجابه شريف باقتضاب:

- مارتن أيرون كاذب.

اكتفى رامي بتلك الجملة ثقةً منه أن شريف يستطيع استنتاج كلّ ما يفكر فيه عدوّه وتبعه جريًا، لكنهما توقفا عندما ظهرت سيارة حمراء في آخر الشارع، كان يبدو جليًّا أنها تقصدهما، أخذ شريف ينظر يمينًا ويسارًا برعب باحثًا عن النجاة، ثمّ عبر الشارع وانحرف في أقرب شارع جانبي إليه. وأخذا يجريان برعبٍ هربًا من السيارة التي تبعتهما، لكن في آخر الشارع ظهرت سيارة سوداء سدّت مدخل الشارع فتراجعا بسرعة، وانحرفا في شارع جانبي..

هتف رامي برعب:

- لمَ يفعل هذا؟!

قال شريف وهو يجري:

- ليجعلنا عبرةً لِمَن تسول له نفسه تحدّيه من عملاء الشرطة.

قال:

- ولِمَ لمْ يقتلنا مباشرة؟

قال:

- لأنه مريض سادي، يعشق تعذيب الضحية قبل قتلها، مثل القطّ الذي يحبّ اللعب بالفأر قبل التهامه.

خرجا إلى شارع كبير يمتلئ بالسيارات المسرعة في الاتجاهين، وأخذا يجريان بكل قوتهما، ونظر رامي خلفه ليجد السيارة الحمراء تقترب منهما، فهتف بغضب:

- كيف عرف مكاننا؟

قال شريف:

- لديه كمبيوتر متّصل بشبكة الأقمار الصناعية، إنه يرانا من أعلى، والمنطقة هنا مكشوفة لا يوجد ما يمكن الاختباء تحته عن أعين الفضاء التي تراقبنا.

وصلت السيارة الحمراء إليهما، ورأى شريف من نافذتها مسدسًا يصوَّب باتجاههما، فجذب رامي من ملابسه وهو يصرخ:

- احترس.

استطاع شريف إنقاذ رامي من الرصاصة التي استهدفته بدقة، واستلقيا أرضًا وأخذا يزحفان بعيدًا، ثمّ وقفا على أقدامهما بسرعة، ودخلا في شارع جانبي، ورامي يصرخ:

- لا، لا إنه مجنون حتمًا، يريد قتلنا في ضوء النهار!

قال شريف:

- يريد أن يلقّن الشرطة درسًا في عدم قدرتها على مواجهته.

سمع رامي صوتَ صرير سيارة خلفه، فالتفت بسرعة ولكنه وجدها السيارة السوداء لا الحمراء كما كان يتوقع فصرخ بغيظ:

- إنه القمر الصناعي اللعين.

هتف شريف بتوتر:

- هيّا لندخل ذلك السوق التجاري الكبير.

تبعه رامي ليهرب من مطاردة تلك السيارات المرعبة وعبَرَا معًا بوابة السوق التجاري الكبير.

هتف رامي:

- ماذا سنفعل الآن؟ لا شك أنّهم سيلحقوا بنا.

أكمل وهو يتأمل روّاد المكان القلائل في تلك الساعة المبكرة من النهار: سنكون مكشوفين للغاية بين ذلك العدد القليل من الناس.

قال شريف وهو يتلفت حوله:

- وهُم كذلك، هيّا بنا لنصعد إلى الدور العلوي، ونبحث عن مكانٍ آمن نراقب منه الباب.

قال رامي بغيظ: أي باب فيهم؟! أتعلم كم بابًا لديهم؟!

قال شريف: لا تضعِ الوقت.. هيّا.

صعدا إلى الدور الثاني، واحتمى شريف بأحد الأعمدة الرخامية الضخمة وهو يراقبُ باحة الدور الأرضي بتوتر من تلك الشرفة الضخمة التي تحيط بالمكان بأكمله، وسرعان ما رأى رجالَ مارتن المرافقين له وهُم يجوبون الدورَ الأرضي بحثًا عنهما.

فقال رامي بقلق:

- الملاعين حاصرونا، حتى لو استطعنا الخروجَ من هنا، ففي الخارج الأقمار الصناعية لن تتركنا، يا للتكنولوجيا اللعينة.

قال شريف بتوتر، وهو يراقب "بات" ومعه اللابتوب، وهو يدخل من نفس الباب الذي دخلا منه:

- ها هما عينا مارتن ايرون، كيف يمكن أن نعميه لنتحرك في الخارج بحريتنا؟!

نظر رامي إلى "بات" الذي جلس على أحد المقاعد في الباحة، ووضع اللابتوب على قدميه، وأخذ يعمل عليه بسرعة، ثم نظر إلى اللابتوب بغيظٍ، وانعقد حاجباه بشدة، وبعد عدة دقائق رأى شريف "بات" وهو ينتفض من مكانه، ويتحرك بعصبية، ويتحدث في سماعة الأذن الإلكترونية لهاتفه المحمول.

وبعد دقيقة، انصرف من نفس الباب الذي دخل منه

واشتدت دهشةُ شريف عندما رأى رجال مارتن أيرون ينسحبون واحدًا خلف الآخر من المكان، لم يكن هناك أي سبب منطقي لانسحابهم بهذه الطريقة، لكنّ هناك بالتأكيد أسبابًا غير منطقية، التفت إلى رامي فجأة، وضاقت عيناه، لكن رامي نظر إليه بمكر، وهو يحاول قدرَ استطاعته أن يكتم ضحكه:

- ماذا؟ لا تنظر إليّ بهذه الطريقة، أنا لم أفعل أي شيء.

نظر إليه شريف بارتياب، غير مصدق.

ولم يستطع رامي كتمان ضحكه طويلًا، فانفجر يقهقه بشدة، وهو يقول بصوتٍ متقطع:

- البلهاء يركُضون الآن خلف هدفٍ كاذب.

قال شريف بعد أنْ تأكد له صحة استنتاجه الذي أذهله تمامًا:

- أيّها الجني، كيف فعلتها بربك؟!

قال وهو يكادُ أن يسقط من الضحك:

- لا أدري، حقًّا لا أدري، إنه ذلك القمر الصناعي الأبله، يجري خلف أي شبح يشكّ في أمره.

أدرك شريف أنه لن يستطيع فهْم أي شيء من رامي في ظلّ ذلك الجو المشحون بالمطاردات المرعبة، وقرّر أن يستقلّ تاكسيًا من أمام السوق التجاري ليبتعدَ به بسرعة عن ذلك المكان المرعب، ويصل إلى القنصلية في أسرع وقتٍ ممكن؛ فالمسافة بينهما وبين القنصلية بعيدة للغاية، تحتاج لمركبة.

*****

نزل شريف ورامي سلّمَ السوق التجاري بسرعة، لكن رامي صرخ فجأة ممّا جعل شريف يتوقّف وينظر إليه:

- وجدتها. حللت اللغز أخيرًا، أستطيع الإجابة عن كلّ الأسئلة الحائرة التي لم نجد لها إجابة منطقية، أتدري ما الذي سقطنا فيه، إنه ليس بئرًا، بل ثقب دودي انتقلنا فيه عبر الزمن.

قال شريف وهو يسرع الخطا:

- أخبرتك مِن قبل أننا في نفس الزمن.

صمت رامي قليلًا، ثم قال وهو يتبعه:

- إذًا فقد انتقلنا للكون الموازي

هتف شريف:

- كفّ عن خيالاتك، يبدو أنّ إدمانك لقراءة روايات الخيال العلمي مسحتْ مخّك.

قال بإصرار: إذًا، هلّا فسّرت لي يا عبقري العباقرة ما يحدثُ لي ولك مِن تغيرات وأفعال عجيبة، لا تنكر، لقد أصبح كلّ منّا مكشوفًا للآخر بوضوح.

قال شريف بضيق:

- هناك بالفعل أمرٌ غريب حدث لنا، لكنه لا يعني أن يشطحَ عقلك إلى تفسيرات خيالية.

قال بإصرار:

- صدقني، أنا متأكد أنّنا سقطنا في ثقب دودي، انظر، تلك ليست أرضنا حقيقة، بل هي أرض موازية لأرضنا.

قال باسمًا:

- جيد، ربما لو عدنا إلى مصر سنلتقي شريف ورامي آخرين.

أشار شريف إلى صفّ من الجرائد عند أحد بائعي الجرائد:

- ليت الأمر كذلك بالفعل، ليتنا نعيش في أرض أخرى ولكن..

انظر، لا زالت أمريكا تحتل أفغانستان والعراق وسوريا ممزقة، وانقلب الربيع العربي إلى مأساة بسبب الخونة، ولا زال المسجد الأقصى مدنّسًا باليهود، أفقْ يا صديقي، الأرض تمتلئ بأمثال مارتن ايرون، إنها مع الأسف أرضنا، أرضنا نحن.

هتف رامي قائلًا:

- هذا ليس شرطًا؛ فالأحداث في الأكوان الموازية تدور بنفسِ الترتيب، الاختلافُ يكون طفيفًا، وكلما كان الكونين متقاربان لنْ تلحظ الفرق ولا الاختلاف بينهما.

تأمّله شريف قليلًا، ثم قال:

- هلّا سرتَ بسرعة لنستقل تاكسيًا إلى السفارة قبل أن يعود مارتن أيرون بجيشه، كما أن علينا العودة إلى مصر بسرعة لنلتقي شبيهينا.

*****

صرخ "بات" فجأة في سائق السيارة التي تقلّه:

- توقف.

أطاع السائق الأمر مباشرة، أخذ "بات" يعمل على جهاز اللابتوب بعصبية شديدة، ثم صرخ:

- اللعنة.

تحدّث في سماعة هاتفه المحمول:

- علينا العودة بسرعة، لقد تمّ خداعنا.

أتاه صوت مارتن في الهاتف غاضبًا:

- ماذا! كيف تقول ذلك؟!

قال بتوتر:

- حقًّا لا أدري ماذا حدث، لكنّ هناك تشويشًا بصورة ما على استقبال إشارات القمر الصناعي، لا أفهم ماذا يجري!

صرخ مارتن:

- تصرّف بسرعة.

أخذ "بات" يعمل أصابعه بسرعة على الجهاز، ثم قال لمارتن:

- استطعت استعادة السيطرة على الجهاز، علينا العودة إلى المركز التجاري بسرعة قبل هروبهم.

*****

غادر شريف ورامي المركزَ التجاري، وسارا يبحثان عن تاكسي يقلّهما.

هتف رامي:

- والآن أيها الزعيم،كيف نستقل تاكسيًا ولا مال لدينا؟! وكيف سيقبل السائق أن يقلّنا كلّ تلك المسافة دون مال؟

قال شريف بثقة:

- دعها لله.

ردّ رامي بعجب:

- حسنًا، ولكن الله أعطانا عقلًا نزنُ به الأمور، هل تنوي أن تعطي السائق حفنةً من الحكم والمواعظ؟! لو كنا في مصـ...

صرخ رامي فجأة عندما وجدَ السيارة الحمراء قادمةً من بعيد، وهتف قائلًا:

- احذر، إنهم قادمون ثانية.

جذبه شريف من شعره، فصرخ رامي بألم، وأجبره شريف على الانحناء معه خلفَ سيارة متوقّفة بجوار الرصيف، وقال بهمس:

- اخفض رأسك.

احتمى رامي بالسيارة، وهو يقول لشريف:

- يا إلهي، لقد استعادوا السيطرة على القمر الصناعي.

قال شريف بتوتر:

- علينا الخروج من هذا المكان بأي ثمن، والسير على الأقدام الآن صار مستحيلًا.

أغمض شريف عينيْه بقوة، والتفت شريف يمينًا ويسارًا، فوجدَ سيارة تاكسي تقف على بعدِ ثلاث سيارات من السيارة التي يحتميان بها، فهتف لرامي:

- هيا اتبعني، ولا ترفع رأسك.

تبعه رامي بخوف، وهو يخفض رأسَه محتميًا بالسيارات المتوقفة بجوار الرصيف، وصوت صرير عجلات السيارة الحمراء يقترب، ويزيده رعبًا.

حتى وصلا إلى التاكسي، وفتح شريف الباب الخلفي ودخل إلى المقعد الخلفي وتبعه رامي، وهتف شريف للسائق:

- انطلق من فضلك بسرعة.

انطلق السائق بصمت، ولم يرفع الاثنان رأسيهما إلا عندما انحرف التاكسي في شارع آخر، تأمل شريف رامي وهو يغلق عينيْه بقوة، ويبدو على وجهه الألم، ولكنه لم يعلق.

فجأة، صرخ رامي وهو يمسك رأسه:

- آه.. يا إلهي، إنه مؤلم.

قال شريف بقلق:

- هل أنت بخير؟

قال بعناد:

- عليّ أن أبعدهم.

ثمّ أغمض عينيه ثانية.

التفت شريف يراقب الطريق من النافذة الخلفية بقلق، ثمّ هتف بالسائق:

- أرجوك، أسرع.

زاد السائق السرعة، وأخذ شريف ينقل عينيه ما بين الطريق ورامي الذي أمسك رأسه بين كفيه وأغمض عينيه وصمت تمامًا، وكأنما لا يشعر بشيء ممّا حوله.

كان يسبح في عالم آخر تمامًا تحقّقت فيه أقصى أمانيه وأقوى أحلامه الخيالية؛ فأمام عينيه المغلقتين وبما يشبه الأحلام، ارتسمت أمامه شاشةُ جهاز كمبيوتر شخصي حديث لا يدري مكانه، استطاع الاتصال به عقليًّا

بما يشبه الاتصال اللاسلكي، وأصبح بإمكانه التعامل معه كما لو كان يجلس أمامه.

في البداية، كان يعتقد أن الأمر مجرد خيال، أو هلوسات

أو أمنية سيطرت على عقله حتى اعتقد أنها حقيقة واستسلم لها.

لكنه فوجئ أنّ الأمر نجح بالفعل في وضع صورتِه هو وشريف ضمن ملفات الشرطة، ثمّ في خداع "بات" والتشويش على القمر الصناعي، والآن عليه تكرار الأمر ثانية لإبعادهم عن التاكسي.

وكلّما سمع صوت شريف في أذنيه وهو يهتف بالعربية:

- أسرع.. أسرع، إنهم قادمون.

غمره التوتر والقلق، وأكثر من مرة يتشتت تركيزه، ويستطيع استعادته بصعوبة، لكنْ فجأة انتفض رامي رعبًا عندما توقف التاكسي على جانب الطريق والتفت لهما السائق الأسود، ورماهما بنظراتٍ مرعبة وهو يقول بحزم:

- ماذا تقولان؟ وبأي لغة تتحدثان؟!

حدق فيه رامي برعبٍ لا يدري ماذا يقول، لكن شريف هتف بسرعة: نقول لا إله إلا الله محمد رسول الله.

أشرق وجه السائق بفرح وهتف:

- عربيّان! توقعت ذلك، فقد التقطت أذني بعض كلمات بالعربية. مرحبًا بكما، أنا فاروق.

قال شريف بتوتر: سعيد بالتعرف إليك، ولكن أرجوك تحرك بالسيارة بسرعة.

قال بتساؤل:

- هل أنتما مطاردان؟!

قال بقلق، وهو ينظر خلفه ليراقب السيارة الحمراء:

- أنت ذكي للغاية.

- ممّن؟!

أجاب بسرعة:

- من رجال مارتن ايرون.

أطلق السائق صافرة طويلة دهشة، ثمّ قال:

- الوغد.. اعتمدا علي، أعرف كلّ جحرٍ في هذه المدينة.

انطلق بالسيارة بسرعة، وصوت صرير العجلات يصرخ مِن تحتها، وأخذ ينحرفُ من شارع لآخر بسرعة كبيرة متفاديًا السيارات بمهارة مذهلة.

وعاد رامي إلى عمله بعد أن استقرّ فؤاده مطمئنًا،

وبعد قليل فتح عينيه، وهو يبتسم ابتسامة كبيرة، تأمّل شريف ملامحَ النصر التي ارتسمت في وجهه، فاسترخى في مقعده وبادله بابتسامة فرحة هادئة، وهو يغمز له بعينه.

أخيرًا وصلا إلى القنصلية، وخرجا من السيارة ووقف السائق ليصافحهما مودعًا.

قال شريف بامتنان، وهو يخلع ساعته من معصمه:

- لا أدري كيف أشكرك على صنيعك الغالي، الله وحده هو القادر على مكافأتك، ولكني أودّ أن تتقبّل مني هذه عوضًا عن أجرك، فلا يمكنني أن أبخسك حقّك.

ضحك السائق بمرح، وقال بودّ:

- ضعْ ساعتك في معصمك، فهذا ليس عملًا، بل خدمة لصديقين، الشكر لكما؛ فقد أتحتما لي الفرصةَ للانتقام من ذلك الوغد مارتن ايرون.

رحل السائق، والتفت شريف إلى رامي، وقال بمكر:

- والآن، ألن تخبرني كيف فعلتها؟

هزّ كتفيه ورسم السذاجة في وجهه:

- أنا لم أفعل أي شيء.

قال بابتسامة:

- أيها الماكر!

قال بمكر:

- عندما تكفّ عن المراوغة والإنكار، ربما ..آ..آ .. أقول ربما..

ضحك شريف من أسلوبه كثيرًا.

*****

أخذ الموظف المختص في القنصلية يتأمّلهما مليًّا بريبة وهما يجلسان أمامه.

قال الموظف بأسلوب لم يطمئن له شريف:

- إذًا فقد سُرقتُما!

قال رامي بسرعة:

- نعم.

قال:

- المال وأوراق الهوية وجوازات السفر، وكل شيء!

رامي:

- صحيح.

قال الموظف بشكّ:

- إذًا، ما الذي يثبت أنكما مواطنان مصريان.

همّ شريف أنْ يتكلم، لكنّ رامي سبقه، وهو يخرج بطاقة شخصية صغيرة من جيبِه، ويقدمها للموظف بسرعة:

- تلك هي بطاقتي الشخصية.

التفت إليه شريف، ورماه بنظرةٍ قاسية أشعرته بمدى الخطأ الذي ارتكبه.

أخذ الموظف يقلّب البطاقة بين يديه، وقال بتهكّم:

- إذًا، فاللصوص أخذوا منكما كلّ الأوراق عدا تلك البطاقة!

قال شريف بضيق:

- مِن فضلك، أتسمح لي بإجراء مكالمةٍ واحدة إلى مصر؟

قال الموظف بتهكّم:

- لا زال الوقت مبكرًا لاستدعاء محاميك الخاص، لستم هنا موضعَ اتهام، كلّ ما في الموضوع أننا سنبحث عن بيانات جوازيْ سفرِكُما على النتّ لنستطيع اتخاذ الإجراءات المناسبة لإعادتكما إلى مصر.

زفر شريف بضيق، وقال:

- أنا لن أتصل بأية محامين، فقط أريد أن أطَمْئن مَن يهمّهم أمري على مكاني.

قال الموظف بابتسامة غريبة:

- بالطبع، هذا حقّك.

بدأ شريف يشعر بالراحة، لكنّ شعوره وئِدَ في المهد عندما أكمل الموظف:

- فقط، بعد أن تتفضّلا عند السيدة ليلى المختصة بالبحث ضمن ملفات الحكومة الإلكترونية على الإنترنت.

وقف الاثنان أمام السيدة ليلى، وهي منهمكة في البحث على الكمبيوتر عن قائمة المغادرين مصر متجهين إلى أمريكا بعد أن لقمته أسماءهما، أشار شريف إلى رامي أن يتخذا جانبًا من الحجرة، فتبعه رامي إلى ركنٍ بعيد عن السيدة ليلى، وقال بخوف:

- والآن، ما الذي سيفعلونه بنا عندما يكتشفون الحقيقة؟!

قال شريف بقلق:

- لا أدري بالضبط، ربما يلقون بنا إلى الشارع، لكن المتوقع هو أن يسلموننا إلى الشرطة.

كانت ركبتي رامي تصطكّان برعب مع كلّ كلمة يضيفها شريف، ولكنه قال:

- وماذا ستفعل الشرطة باثنين دخلا أمريكا دون أوراق رسمية؟ هل سيعاملوننا معاملة الإرهابيين ويلقون بنا في جوانتانامو؛ حتى نتعفن هناك؟! لا أحد في العالم يعرف مكاننا.

قال شريف:

- كنْ متفائلًا، قد تعيدنا السفارة إلى مصر.

رامي:

- وبعد؟!

شريف:

- أتمنى فقط ألا يتدخل الأمن الوطني في الموضوع.

كاد قلب رامي يتوقّف عندما ذكر شريف الأمنَ الوطني، لكن السيدة نادت عليهما فاتّجه إليها شريف بسرعة، وتركة رامي في حالةٍ يرثى لها من الرعب العنيف،

فكل طريق سيذهبان إليه لا رجعة له، ومِن يدٍ ليد لن يرحمهما أحد، ويبدو أنّ الموت في بئر المصعد كان أنسبَ الحلول لهما، لكنهما أفلتا.

بدأ جسده يرتعش ويتعرّق عندما سمع صوت السيدة ليلى تجادلُ شريف بسبب عدم عثورها على اسم أيّ منهما في القوائم، وشريف يحاول إضاعة بعض الوقت ويحثّها برجاء أن تعيد البحث.

فجأة، شعر رامي بدوار عنيف، وترنح جسده، فجرى إليه شريف، وأمسك به قبل أن يسقط أرضًا، وأجلسه على الأريكة الوثيرة، وتوتّرت السيدة ليلى بشدة وفتحت ثلاجة صغيرة بجوار مكتبها وملأت له كوبَ ماء، وقدّمته إليه.

تناول رامي الماء شاكرًا لها، فسألت شريف بقلق:

- أهو بخير؟

قال بتوتر:

- لا أدري، لم يأكل شيئًا منذ أمس.

قدمت لهما السيدة ليلى بعضَ العصائر، ثم عادت إلى مكتبها، وبدأت البحث من جديد، وهزّت رأسها قائلة:

- هناك خطبٌ ما، لم يحدث هذا من قبل، سأتصل بمسئول "الآي تي" ليرى ما الأمر.

كان رامي يجلس ذاهلًا، وعيناه تدور بمحجريهما، همس له شريف قائلًا:

- حاول إنجاز الأمر بسرعة قبل مجيء هذا المسئول.

نظر له رامي وهو يحاول فتح فمِه ورفع يده لأعلى قليلًا ولكنها تسقط رغمًا عنه، وصدر منه صوتٌ مشوه كأنما يعجز عن النطق، فشعر شريف بالقلق عليه، وقال له:

- ما بك؟

عاد رامي بظهره للخلف وقد ارْتخت يداه، ويصدر منه صوتٌ أشبه بحشرجة، ظهرت السيدة ليلى وهي تقول:

- يبدو أننا قد تعرضنا لهجمة من قراصنة النت، مسئول الآي تي يقول بأنّ مبنى السفارة تعرّض لهجمة بشعة منذ قليل، وقد اخترقوا حاسوب السفير بالفعل.

لم يستمع شريف لشطر جملتها، وقلقه يتزايد لمظهر رامي غير الطبيعي، وفجأة أخذ جسد رامي في الانتفاض والتشنّج بشكل كامل، وارتمى أرضًا ليسكن جسده تمامًا، صرخت السيدة ليلى تنادي طلبًا

لطبيب السفارة، الذي جاء بعد عشر دقائق رغمَ قرب مكتبه، وفحصه وقال بـبرود أعصاب يحسده عليه شريف:

- لا شيء به، النبض جيد، وما زال على قيد الحياة، ماذا حدث؟

قص عليه شريف ما حدث، فقال الطبيب:

- حتمًا يعاني من مرض الصرع، وقد نسي تعاطي جرعته في الموعد المحدد.

هتف شريف قائلًا:

- لم يكن يعاني من أية أمراض.

نظر الطبيب نحوه مليًّا، وقال بتحدٍّ:

- ما رأيك أن تقوم مقامي؟ أليس ذلك أفضل؟

لم يكن شريف في بالٍ رائق يسمح له بالنزاع، وقلقه على رامي يكاد أن يذهب بفؤاده، فلم يجادل الطبيب، وقال له:

- حسنًا، ما الذي يمكن فعله له الآن؟

- هل لكما تغطيةٌ للرعاية الصحية بمستشفيات الولاية؟

شعر شريف بالعجز، وقال:

- لا، نحن مواطنان مصريان، فقدنا جميع أوراقنا، والسيدة ليلى تعلم ذلك.

تنحنَحَت السيدة ليلى، وقالت بحرج:

- أقدّر الظرف التي تمرّان به، ولكن لم أجد ما ثبـتَ أنكـما مصريـان، ولا حتـى مجرد تسجيل أسمائكما برحلات الوصول من مصر في خلال الشهر الماضي.

تنهّد شريف، وقد أسقط بين يديه وقال:

- حسنًا، إذا كنّا موزمبيقيان وحدث ما حدث لرامي الآن، ما الذي يمكن فعله؟

قام الطبيب واقفًا وقال:

- تسحب زميلك، وتتوجّه به مباشرة إلى السفارة الموزمبيقية، ولا تصدّع رؤوسنا بمشاكلكما.

قال شريف بحدّة:

- هل كان قسمك الطبي على هذا؟ ألم تقسم على معالجة العدو والصديق، هذه حالةٌ طارئة وإنسانية فلتعاملها بما تستوجبه مهنتك من سموّ ورقي.

صرخ فيه الطبيب قائلًا:

- أنت قليل الأدب، ولقد محوتَ جميع فرص المساعدة بالفعل، رسميًّا لا يجب علي شيء نحوكما.

- سأشتكي للسفير.

لوّح الطبيب بيده، وتركه وانصرف، في حين تنحنحت السيدة ليلى، وقالت:

- السفير لن يفيدك بشيء، هناك أزمة بعد محاولة اختراق حاسوبه الشخصي.

وأخرجت بطاقةً ومدت يدَها بها إليه، وقالت:

- توجّه لهذا العنوان وبسرعة، وأخبرهم بانتمائك لجمعية أيادي الخير، وأنك من طرفي، وسوف يتعاملون مع الحالة بسرعة.

تناول شريف البطاقة ممتنًّا لها، وتنحنح في حرجٍ شديد، وقال:

- ليس معي ثمن أجرة السيارة التي ستقلّنا.

بلا تردّد أخرجت من حقيبتها مبلغًا ودسّته في يده، كاد شريف أن يبكي وهو يشعر بكلّ عرفان الدنيا لصنيعها، وبسرعةٍ حمل رامي الضئيل على كتفه، وانطلق.

*****

بالطابق العاشر بالمبنى المقابل للسفارة المصرية في نيويورك، جلس شابٌّ كثيفُ شعرِ الرأس، وبلحية مهمَلة، يرتدي فانلة زرقاء بحاملاتها التي تعلو سروال قصير يموج بأوراقِ النباتات الخضراء، ونظر لمجاوره الذي يتأنّق بمبالغةٍ ظاهرة في بدلته السوداء، ورباط عنقه الرصاصي وحذائه اللامع بقوة، وقال له:

- للأسف الإشارة انقطعت يا ديفيد.

قال له ديفيد:

- كيف انقطعت؟! ما زالت ظاهرة أمامي على جوالي.

هزّ الشاب رأسه بحسرة، وقال:

- لا أقصد إشارة شبكة السفارة اللاسلكية، فتأمينُها هزليّ واخترقته في ثوانٍ، ونسخت كلّ ما يوجد على حاسوب السفير.

وضحك بقوة، واستكمل قائلًا:

- لن تجد إلّا مجلدات هائلة من الأفلام السيئة.

واعتدل وقال بحماس وجديّة:

- لقد وقعت على صيدٍ كبير، محاولتكم للحصول على شيء ذي بال من السفارة المصرية لم يكن لدي أملٌ فيه، ولكنْ ويا للصدفة.. لقد وجدت إشارةً لحاسوب خارق بها، أتعجب كيف حصلوا عليه.

اتسعت عين الأنيق قائلًا:

- أي حاسوب خارق هذا؟ وكيف علمت بذلك يا جلعاد؟

قال جلعاد بحماس:

- فور اخْتراقي للشبكة اللاسلكية للسفارة قمت بإعطاء أمر النسخ لِمَا يحويه حاسوب السفير، وقمتُ بجولة سريعة عبر بقية الأجهزة، وأثناء تجوالي وقعت على محاولة اختراق لأحدِ الأجهزة، فتبعتُ تلك الإشارة فإذا بها صادرة من جهاز داخل السفارة سرعته لا مثيل لها، وقوة إشارته لم أرَها من قبل، حاولت اختراقه وفشلت تمامًا، كأنما يحمل أكبر حائط صدّ وحماية، ورغم أن هذا تخصّصي وهو إنشاء الجدران النارية، ولكن كانت لغتُه جديدة، لم أسمع عنها أبدًا مع دراستي لجميع اللغات الممكنة والمعروفة في هذا المجال.

عقد ديفيد حاجبيْه بقوة، وقال:

- وهل فقدت إشارته الآن؟ وقد ضاع منك للأبد!

ضحك جلعاد قائلًا:

- وهل تظنني بهذه السذاجة؟

- ماذا فعلت؟

- عندما فشلت في اختراقه قمتُ بزرع أحدِ أهمّ فيروساتي الجديدة به، فاضطربت إشارته وفقدَ السيطرة حتى توقّفت، يمكنك القول بأني قد أطفأته، وفور إعادة تشغيله سوف ألتقط إشارته، وقد يمكنني التعامل معه عند بداية التشغيل وقبل استيقاظ وسائل حمايته.

قال ديفيد بحماس:

- رائع، فليكن ذلك هدفك، ونكون بذلك قد نلنا الصيدَ الذي جئنا لأجله.

قال جلعاد بتردّد:

- وماذا لو كان ذلك الجهاز لا يخصّهم؟

قال ديفيد متسائلًا:

- أيّ جهة قد يمكنها تملّك ذلك؟

ضحك جلعاد قائلًا:

- أكمل جملتك، واجعلها خبرية قائلًا.. إلّا المصريين.

- ولكنه ظهر عندهم.

- ظهر داخل مبناهم محاولًا اختراق حاسوبًا لديهم بمثل ما نفعل الآن، وبالتالي حتمًا لا يتبعهم.

حكّ ديفيد جبهته مفكرًا، وقال:

- هل يمكنك اختراق كاميرات مراقبتهم؟

مدّ جلعاد يده، وضرب على مفاتيح جهازه، وعاد للخلف وهو يدير حاسوبَه المحمول نحْو ديفيد قائلًا:

- تفضّل، وبأسرع من البرق.

أخذ ديفيد يراقبُ الكاميرات، وكانت كلها تكشف تحركاتٍ نمطيةً معتادة لمثل هذه الأماكن، ظلّ يرقبها واحدة تلو الأخرى عسى أن يجدَ ذلك المتلصّص يحمل حاسوبه، ولم يجد، فالتفت نحو جلعاد قائلًا:

- متى انطفأت الإشارة؟

- منذ عشرة دقائق.

- حسنًا، هل يمكنك المجيء لي بتسجيلات كاميرا البوابة في الربع ساعة الأخيرة؟

حكّ جلعاد رأسه، ثم أشار نحو ديفيد قائلًا:

- بسيطة، سأخترق الجهاز المسئول عن تسجيلات كاميرات المراقبة، وأجلب منها تلك التسجيلات التي تريدها.

ظلّ جلعاد يعمل على حاسوبه لمدة سبع دقائق، وأخيرًا كعادته أدار الحاسوب نحو ديفيد، قائلًا:

- تفضّل تسجيلات جميع الكاميرات منذ ساعة كاملة.

تناول ديفيد منه الحاسوب، وظل يرقب كاميرا البوابة بمنتهى الصبر، ثمّ ضاقت حدقته وهو يرى انصراف شريف حاملًا لرامي، كان هذا هو المشهدَ الوحيد غير المألوف، وكما هي القواعد عندما ترى مشهدًا غير مألوفٍ ثقْ أنّ وراءه كل الأسرار التي تبغيها، فأشار نحو الشابّين قائلًا:

- هؤلاء هما المخترقان، حاول توضيح الصورة، ولتأت لي برقم سيارة الأجرة التي استقلاها.

وبعد عدة اتصالات أجراها ديفيد فوْر حصوله على رقم السيارة، قال بحماس لجلعاد:

- ارتدِ زيًّا مناسبًا، ولتجلب حاسوبك، هيّا سنذهب إليهما.

*****

كان شريف يتطلع إلى ملامح رامي بمنتهى الأسى، لكم يشعر بالمسئولية نحوه، رغم جموحِه وردود أفعاله الصبيانيّة، مازال يلتمسُ له العذر، شريف نفسه ما زالت تتكشّف له الكثير من العجائب، لا يدري حتى الآن كيف يمكنه سماعُ أفكار الآخرين، لقد كان ذلك سببَ نجاته من كلّ المخاطر الغريبة التي لاقوها حتى الآن!

في البداية ظنّ بأن مَن أمامه يحدثه، ولكنْ بمراقبة الشفاه كانت مغلقة، ولم يصدّق نفسه بأن هذه خلايا المخ هي التي تحاوره! ورامي امتلك قدرةً خاصة به تليقُ بمواهبه الخاصة، فيمكنه الآن استخدام عقله كحاسوبٍ شخصي فائق، كم كان هذا حلمًا يتوقُ إليه العلماء، ما زالوا يتحدثون عن اختراعِ خوذة يمكن بها تنفيذُ أوامر الحواسيب عبر إشارة المخّ التي تتلقاها تلك الخوذة من رأس المستخدم مباشرة، ممّا يتيح لذوي الاحتياجات الخاصة حياةً جديدة رائعة ربما يسبقون فيها الأصحّاء بقدراتهم الفائقة، فما بالك بجهاز تملكه بين ثنايا عقلك، إنها معجزة فعلية، ولكنّ مخّ الإنسان نفسه يحمل ما هو أكثر إعجازًا من كل الحواسيب، ولكن جعل الله له طاقة محددة وموجّهة بقدر، فالحاسوب الذي قد يتمّ تخزين آلاف الجيجابايت عليه من الذكريات والأحداث؛ يحمل العقلَ البشري أضعافَ أضعافَ أضعافِها، ولكن من رحمته سبحانه بنا جعلها تتوارى جانبًا طيّ نعمة النسيان، ولا يتمّ استدعاؤها إلّا عند الحاجة الفعلية لها، ماذا ستفعل بذكرى مؤلمة قاتلة تظلّ ماكثة أمام عينيك ليلَ نهار؟ ستتلظى بألمها وتُكوى بلهيبِها، ولكنْ مِن رحمته بنا عزّ وجل أنْ طواها لترتكن جانبًا ليسبقها أحداثًا جديدة تغطي عليها، فيمكنكَ الاستمرار في حياتك متجاوزًا هذا الألم.

الآنَ شريف لا يدري بما جرى لرامي، وأن الفيروس الذي نالَ منه هو السبب لمَا حدث، الأطباء طمأنوه بأن جميع وظائفه الحيوية مستقرة وطبيعية، ولا يوجد ما يهدّد حياته، وقد يستيقظُ في أي لحظة قادمة ليمارس حياته بشكلٍ طبيعي وبلا محاذير.

شعر شريف بحاجتِه لمشروب دافئ يزيد من تركيزه بعد شرودِه واحتياجه للراحة التي لا يملكُ رفاهيتها الآن.

أخرجَ بعض الدولارات القليلة التي تبقّت له ممّا أعطته السيدة ليلى الطيبة، فتوجّه لشراء كوب من القهوة المركزة عسى أن تمنحه ما يريدُ من قوة وتركيز واستيقاظ حتى ينقضي الأمر ويفيق رامي ويذهب مجددًا إلى السفارة ليكمل رامي مهمته باختراق الأجهزة هناك وإعداد أوراقٍ رسمية لهما تمكّنهما من العودة إلى موطنه الحبيب الذي يفتقده جدًّا.

وقف أمام البائعة الجميلة حتى أعدّت له ما أراد، ولشغفه بطعم القهوة لم يطقْ صبرًا فقام بارتشاف بضعَ قطرات منها، ونظر نحو النادلة شاكرًا إيّاها ومشيدًا بجودة ما قدّمت، لترد له الشكر بابتسامة ساحرة، وفجأة تمعّر وجهها وظهرت عليها أماراتُ الرعب وهي تقول:

- مستر مارتن أيرون، أهلًا بك في مستشفانا المتواضع.

ابتلع شريف ريقه بصعوبة، وخلف كتفه يقف ألدّ أعدائه الآن، وهو يقول بصوته المشروخ الصارم:

- أين مكتب مدير هذا المركز؟

أشارت الفتاة برعب ناحية اليمين، قائلة:

- بنهاية هذا الرّواق جهة اليمين.

سمع رامي صوت أقدامه ومَن معه، وهي تسير نحو غايتهم التي سألوا عنها، فانطلق مسرعًا وقلبه يسابقه بدقاته المتزايدة بقوة، لقد أصبح قاب قوسين أو أدنى من الموت إنْ لم يتصرّف بسرعة، الأطباء طمأنوه عن حالة رامي، وبالتالي يمكنُه الهرب به الآن، نظر نحو رامي قائلًا:

- ألا يمكنك الاستيقاظ الآن؟ لكم أحتاجُ معونتك.

حمله على كتفه، وانطلق به في الاتجاه المعاكس، متوقعًا مجيء ذلك المجرم الآثم بعد معرفة رقمِ غرفته من مكتب المدير، وعبر سلالم الطوارئ هبط مسرعًا، ومدّ رقبته ببطء خارجَ الباب الجانبي الذي وصله، ليجد سيارات مارتين تقف بشكلٍ يكاد أن يغلق الباب الرئيسي للمركز الطبي، فتسلل ببطء مبتعدًا عنهم، وعندما وصل إلى ناصية شارع جانبي، وقبل أن يجري إليها، توقّفت بجواره سيارة فارهة، وهتفَ به قائدها الأنيق قائلًا:

- اركب بسرعة أنت ورفيقك.

نظر شريف اليه ليجده ينظرُ نحوه ببسمةٍ رقيقة، وبجواره شابّ أشعث بلحيته الكثيفة، ظنّه مسلمًا آخر يقيم بنيويورك، وقد أدرك أزمتَه، ويريد تقديمَ العون له، فقال في سرّه:

- يا فرج الله. فتح له الرجلُ الباب الخلفي، فوضع رامي بحذر على المقعد الخلفي وجلس بجواره، لينطلق الرجل مسرعًا وعيناه تحملان بريقًا ظافرًا.

*****

ظلّ شريف يتلفّت خلفه ليرقب موكب مارتين أيرون إن كان يسعى للّحاق به، وعندما ابتعد مليًّا تنفّس الصعداء، فخاطب منقذَه دون أن يدري بالعربية قائلًا:

- هل أنتما مسلمان؟

ضغط الرجل على مكابح سيارته بقوة لتتوقف بأزيز عالٍ، واندفع شريف للأمام على إثْر التوقف المفاجئ في حين كاد رامي أن يسقط مِن فوق كرسيّه، وقال جلعاد لديفيد:

- تبًّا، إنهما مصريّان، لقد انطلقنا خلف سراب.

فقال ديفيد بغيظ:

- ذلك الفيروس الذي زرعته بالحاسوب الفائق! هل يشترط القرب منه ليظهر لك عند تشغيله؟ هزّ جلعاد رأسه قائلًا:

- مطلقًا، بمجرد تشغيل ذلك الجهاز سيأتيني تنبيه فوري عبر تطبيقي الخاص، ولو كنت نائمًا أو مغلقًا له سيأتيني تنبيه على بريدي بموعد تشغيله وإغلاقه إنْ تم، المهم أن يعمل مرة أخرى.

كان شريف يستمع لكلماتهما وعقلُه يعمل بسرعة كمرجَلٍ يشتعل بالغليان، مِن الواضح أنهما يظنّان جهله للإنجليزية، ويتحدثان بحرية أمامه بناءً على هذا الظنّ، يتحدثان عن حاسوب فائقٍ زرعا به فيروسًا، الحاسوب الفائق الوحيد الذي يدفعهما لمطاردته برفقة رامي هو عقلُ رامي نفسه، إذًا ما أصاب رامي إنما كان بسبب ذلك الفيروس الذي تمّ زرعه عبر إشارة مخّه الفائقة التي أطلقها عند محاولة اختراق حاسوب السيدة ليلى، لقد كانت هذه آخر محاولاته قبل أن يقع، ما التصرف الحكيم

الآن؟ بالطبع برامج مضادّات الفيروسات المعروفة للحواسيب لن تفلحَ مع رامي، وعقاقير العلاج العادية لن تجدي نفعًا لأمر عجيب كهذا! وكما يقول المثل العربي الشهير، مَن جاء بالعفريت فليصرِفه، إذًا الحل لنْ يكون سوى بيديْ هذين الرجلين، ما يحتسب له الآن ظنّهما بجهله وقلة حيلته، ومن المستحيل وصولهما لمعرفة أنّ ذلك الحاسوب الفائق قد يكون مخّ بشري تطورت قدراته لأسبابٍ غير معلومة وغريبة، لكم يتمنّى الآن رؤية د. محمد إسماعيل ود. بدر لمشاركتهما اللّغز، وحتمًا كانا سيصلان للحلّ والتفسير العلمي السليم لما هُما فيه، قطع عليه تفكيرُه مقولةُ جلعاد وهو يشير إليه قائلًا:

- ماذا ستفعل بهذين الغبيّين؟

هَمّ ديفيد أن ينطق، ولكن سبقَه شريف وبإنجليزية جيدة قائلًا:

- يمكنني معاونتكما في الوصول إلى ما تريدان.

نظر الاثنان لبعضهما البعض وهَمّا أن يقهقها، ولكن استطرد شريف قائلًا:

- ذلك الحاسوب الفائق الذي التقطتما إشارته، أعلم كيفية الوصول إليه، والفيروس الذي زرعته تمّ اكتشافه في وقتِ زراعته وتدميره، وتمّ كذلك الاختفاء من محاولات التّتبع والاختراق، هل تظنّ حاسوبًا خارقًا كهذا يمكنك التغلب عليه بترّهاتك العقيمة التي تتجاوز بها التحصينات الضعيفة عند بقية الأجهزة؟

أسعده نظراتُ الذهول التي شملتهما، فقال ديفيد:

- هل أنت مصري؟

رفع شريف رأسه باعتداد، وقال:

- نعم، وبكل فخر.

هزّ ديفيد رأسه وقال بحيرة:

- يبدو أنّ هناك أجيالًا جديدة يمكنها إعادة أمجادهم القديمة.

في حين قال جلعاد باهتمام:

- أخبرني كيف ستعاوننا؟

قال شريف ببساطة:

- هل ترى هذا هو التوقيت والمكان المناسبيْن؟

هزّ ديفيد رأسه وقال:

- أحسنت الردّ في هذه.

وانطلق بالسيارة مجددًا، حاول شريف التركيزَ بقوة لمحاولة اختراق أفكارهما، ولكن عجزَ تمامًا عن التقاط حرفٍ واحد مما يدور برأسيهما، هل يعني هذا أنّهما محصّنان من محاولات اختراقه لأفكارهما؟ أمْ أن الهبة التي منحها الله له قد طارت منه مجددًا، ظلّ يعتصر مخّه مجددًا محاولًا التقاط أي حرف، ولكن التقط الكثيرَ من الأفكار الغاضبة القادمة مِن بعيد، والتي تنزوي بسرعة بمجرد ابتعادِ السّيارة عن نقطة التقاطها، نعم لقد توصّل إلى الحل، يمكنه التقاط الأفكار فقط في حالة اشتعال غضبِ الهدف المُراد أو استثارة مشاعره، لقد كان ذلك هو حالُ كلّ المجرمين الذين الْتقط أفكارهم، وكذلك رامي كان خائفًا بشدة حين التقاط أفكاره، وبهذا فعند استثارة المشاعر أيًّا كانت غضبًا أو خوفًا أو فرحة تطلق موجات

يمكنه التقاطها، ابتسم لقدرته على تفسير بعض القواعد التي تحكم موهبته الجديدة، الآن هذان الرجلان يجلسان مطمئنان وبمشاعر متعادلة، وبالتالي لا ينطلق منهما ما يمكنه من التقاط ما يريد، كيف يدفعهما إلى النقطة المُرادة؟ أخذ يعتصر مخّه، وابتسم عندما توصّل للفكرة البسيطة التي ستشعلُ غضبهما كبركانٍ هادر، قرّر الانتظار حتى يبتعدَ تمامًا عن فرصة وصول مارتين أيرون وبعدها سيبدأ التطبيق، بمجرد وقوف السيارة لن ينتظر الدخول إلى المقرّ الذي قد يكون محصنًا، سيطلق موجات غضبهما خارجًا بما يمكنه من الهرب بعد الحصول على بُغيته.

وبمجرد توقّف السيارة ابتسم شريف وقال بهدوء:

- هل يمكن لحاسوبك هذا اختراق ملفاتِ الشرطة؟

هزّ جلعاد قائلًا في فخر:

- نعم، بالطبع.

- حسنًا، ابحث عن صورتي وسترى عجبًا.

التقط جلعاد صورة له بجواله، ونقلها للحاسوب بسرعة، وقام ببحث ليطلق بعدها صرخةً قصيرة قائلًا:

- ما هذا؟ هل أنتما مصريّان أم أمريكيان؟ وكيف تتبعان الشرطة؟

اتسمت ملامح شريف بالغضب، وقال:

- لقد نجحت محاولةُ الإيقاع بكما أيها الغبيّان.

أخرج ديفيد مسدسَه وصوّبه نحو شريف قائلًا بغضب:

- هل تظنّ ذلك حقًّا؟

قال شريف بوجَل:

- هيا افعلها، ألا تدري أنّ عليكما مراقبة لصيقة الآن ترصدُ كل شيء؟

هتف جلعاد بديفيد قائلًا بخوف شديد:

- لا تزيد جرائمنا واحدة أخرى، يمكن لسفارتنا التدخل ومحوَ الأمور البسيطة، أمّا القتل فلنْ تفيدنا بشيء فيه.

ابتسم شريف بانتصار، وقد تركهما لجدالهما العقيم، وأخذ يجولُ عبْر أفكار ذلك الشاب، ولكنْ فشل في التقاط ما يتعلّق بالفيروس المزروع بعقلِ رامي الآن، كلها أفكارٌ عقيمة عن شهاداته ومهاراته الفائقة وأحلامه بالغنى الفاحش، وحلمه بالهروب من سيطرة جهاز دولته الأمني عليه واستغلال مواهبه، لكمْ يكرهُ شريف هذا الكيان الصهيوني الغاصب، وقد علم أنهما يتبعانه بعد ظهور اسم "تل أبيب" كمقرّ إقامة الشاب الآمن على حسب ظنّه، كيف يدفع الشاب الآن لإظهار ما يتعلق بالفيروس؟ وبذكائه الهادئ توصّل إلى الفكرة البسيطة، وقال:

- يمكننا عقد صفقة رابحة للطرفين.

قال جلعاد بلهفة:

- ما هي؟

في حين انعقد حاجبا ديفيد في ترقّب، فأردف شريف قائلًا:

- نريد الفيروس والمضادّ الناجع له، ذلك الذي حاولت زرعه بالحاسوب الفائق.

نطق جلعاد قائلًا بسرعة:

- إنها عبارة عن إشـ ...

قاطعة ديفيد قائلًا بصرامة:

- اصمت أيها الغبي، أنت هكذا تمنحُه ما يريد مجانًا.

ثمّ التفت نحو شريف قائلًا:

- وما المقابل؟

أشار إليه شريف بأصبعه ليصمت وأغمض عينيه في تركيز تامّ ظنَّه الرجلان محاولةً منه للتفكير بالمقابل المنتظر، في حين كان ينصتُ إلى كلّ ما يتعلق بذلك الفيروس، الذي اكتشف بأنه مجرد إشارات لاسلكية رقمية لن يمحى أثرها إلّا ببثّ إشارات معاكسة لها، إذًا.. هذا ما تلاعب بإشاراتِ مخّ رامي وقد أوقف وعْيَه، ولكن بهذا لن يكون الحلُّ إلّا بيد هذا الشاب، كيف يدفعه لبثّ تلك الإشارات الآن، ابتسم مجددًا وقد وصل للدافع الذي سيدفعه إلى ذلك، فردّ على تساؤل ديفيد قائلًا:

- بكلّ بساطة لن يتمّ توجيه أي اتهام لكما بعد حصولنا على ما نريد، ما الداعي لمطاردتكما بعد انقضاء الأمر؟

قال جلعاد بلهفة:

- حسنًا، وما الذي تريده؟

قال شريف بتركيز:

- أطلق فقط إشارةً عاكسة للفيروس كمضاد له كعينة تجريبية، لنرى مدى أثرها، وبعدها قد نشتري منك الفيروسَ ومضاده بسعر يُرضيك، أليست هذه بصفقة مُرضية لك؟

هزّ جلعاد رأسه برضا تامّ، في حين انعقد حاجبا ديفيد في تفكيرٍ عميق باحثًا عن خدعة ما تنضوي تحت جناح كلّ هذا الكلام، ولم يجد.

بلا تردّد أطلق جلعاد إشاراته وقال:

- ها قد فعلت، كيف ستختبرونها؟

قال شريف بسرعة:

- أجهزة المراقبة تفعل الآن، فقط لا تغلقها حتى أخبرك برضاهم عن العينة.

كانت عينا شريف تتابعان جفني رامي في لهفة، ويتمنى أن تفلح محاولته هذه، وعند رؤيته لبوادر استرداد الوعي سيخبر الشابّ بأن العينة قد تمّ التأكد منها، وبرقت عينا ديفيد قائلًا:

- هل يمكنني تدخين سيجارة خارج السيارة؟

قال شريف بلا اهتمام:

- يمكنك بالطبع.

خرج ديفيد وأشعل سيجارته، ووقف بجوار الحائط بزاوية تحجبُ عن شريف جوّاله الذي نزعه ببطء مِن جيبه، وبدأ يخطّ عليه رسالة قصيرة وسارع بإرسالها، وابتسم بظفر، وبعد دقائق صدرت آهةٌ ضعيفة من فمِ رامي، انطلقت على إثرها سعادةُ شريف البالغة، ولكنْ خشي أن يرصد الشابّ عودةَ إشارات مخّه كحاسوب فائق، فقال بسرعة للشاب:

- رائع جدًّا، أغلق حاسوبك يا فتى، لقد انتهى الأمر.

ابتسم جلعاد بفرحةٍ، وطوى حاسوبه المحمول، قائلًا:

- هل انتهى الأمر حقًّا؟ متى الدفع؟

قال شريف بلا عناية:

- سيقوم المختصون بدراسة الأمر وتقييمه، وبعدها نتصل بكَ عارضين السّعر عليك مقابل منحنا نسخة الفيروس ومضاده.

قال جلعاد بفرحة أكبر:

- موافق جدًّا.

اتسعت عينا رامي، وهو ينظر حوله في عجب قائلًا بالعربية:

- ما هذا؟ وأين نحن؟

قال شريف بتردد:

- لا عليك، لقد تمت المصارحة، وانكشف الأمر، ولا حاجة لخداعهما مجددًا، لقد وصلنا إلى النهاية.

عقدَ رامي حاجبيه قائلًا:

- ماذا؟!

جذبه شريف ليهبط من السيارة قائلًا:

- هيّا لا وقت لدينا، فرقُ المتابعة تريد الانصراف.

تبعه شريف وهو يشعر بدوار ولا قوةَ لديه على التركيز في أي أمر، في حين استقلّ ديفيد السيارة بعد أن ألقى ببقية سيجاره، وانطلق بها مسرعًا، وهو يقهقه، فنظر إليه جلعاد مندهشًا قائلًا:

- ماذا هناك؟ ولمَ لمْ ندخل المقرّ؟

- هُما لا يعلمان بأي طابق سيكون المقر، فلنهرب منهما، وتركت لهما هدية يستحقانها.

- أي هدية؟!

- إنه ذلك الوحش الذي قمنا بتهريبهما منه، مارتين أيرون.

انحرف ديفيد بسيارته بأولِ شارع جانبي وصل إليه في نفس التوقيت الذي ظهرت به سيارات مارتين أيرون لتتوقف أمام شريف ورامي.

تهدّل كتفا شريف، وقد شعر بإحباط كبير، يبدو أن قدرهما هو الموتُ هنا في أرضِ الأهوال الغريبة تلك، لقد واجها الموت بمصر، وبعد اليقين بحدوث ذلك، إذا بهِما هنا وبلا تفسير علمي مقبول، وبقدرات عجيبة لم يمتلكها بشرٌ من قَبل، فهل كان كلّ ذلك لينال الموت منهما الآن، وبهذه السرعة؟!

حتمًا هناك غاية كبيرة لكلّ ذلك؟

ولكن أنّى الوصول لها، وقد أحاطت بهما الكثير مِن الأسلحة القاتلة ويتزعّمها وحشٌ سادي غاضب لن تُسترد كرامتُه إلّا بتمزيقهما إربًا، لن تفلح الآن أي ألاعيب جديدة.

بمنتهى اليأس، رفعَ شريف يديه عاليًا، ورامي أخذ في البكاء والنّوح بصوتٍ عال، وقد أدرك وعيُه التهديدَ الذي قد وقع فيه الآن.

بمنتهى الخيلاء، هبط مارتين أيرون من سيارته بعد دقائق من الأسلحة التي أجادَ رجاله تصويبها إلى شريف ورامي، يتدلّى سيجاره السميك من بين شفتيه، وجاء إليهما يتمايل في غرور، ويداه تطوحان الهواء بتبادل بطيء، وبصقَ سيجاره، ووقف أمام شريف قائلًا:

- هل ظننتَ حقًّا أنه يمكنك خداع مارتين أيرون يا فتى؟ هل نبني سمعتنا بالصدفة؟ إنها مواهب وقدرات وجهد كبير، بالطبع لن يفلحَ صرصاران مثلكما في المَساس بها مهما كانت مواهبكما.

قال شريف بخفوت:

- اقتلنا بلا خُطب مطولة.

أمسك مارتين أيرون بشَعره، وجذبه منه قائلًا:

- تفتقد للأدب حتى في لحظاتك الأخيرة، لن تموت ميتة عادية أبدًا، لا بدّ من ميتة تليق بجرائمكما.

قال شريف ساخرًا:

- لن يضرّ الشاة سلخُها بعد ذبحها.

عقد مارتين حاجبيه قائلًا:

- ماذا تعني؟

- أعني أنّ الموت واحد، وبعد وقوعه لا يؤلمنا بعده شيء.

ضحك مارتين قائلًا:

- لا. سأجعلك تعاني من أقصى درجات الرعب قبل موتك.

شعر شريف بالخوف، وقال:

- لقد تمرّسنا بدرجة لا يمكنك تخيّلها على تحمل التعذيب.

ضحك مارتين مجددًا قائلًا:

- ومَن قال بأنه سيكون تعذيبًا، لكما عندي ما هو أشدّ لعنة مِن التعذيب، ستموتان ألفَ مرة قبل أن تتمزّقا، وتتفتّتا إلى ذرات.

وأشار إلى رجاله قائلًا:

- قيّدوهما وأحضراهما خلفي بسرعة.

شدّد الرجال قيدَهما، وتمّ إلقاؤها بعنف في صندوق إحدى السيارات التي انطلقت بهما إلى مصيرهما الدامي.

*****

انطلق موكب مارتين أيرون، ومن بعيد ترقبه عينا ديفيد وهو يقهقه ضاحكًا قائلًا:

- فلينفعك ذكاؤك الآن يا فتى، ولكن منذ متى تجنّد الشرطة فتيانًا في عمريهما؟

فتح جلعاد جهازه، وهو يقول:

- حتمًا قائد جديد بفكر جديد، فقد كانا يتبعان إدارة غريبة لأول مرة أسمع عنها، إدارة الحماية الفكرية.

قادَ ديفيد سيارته بتمهّل، وهو يقترب من المبنى، بينما صرخ جلعاد فجأة ممّا جعله يجفل قائلًا:

- ماذا بك؟

هتفَ جلعاد قائلًا:

- هناك خدعة ما، الفيروسُ الخاص بي يعمل بكفاءة، لقد تمّ تشغيل الجهاز الفائق منذ دقائق أثناء غلقي لجهازي.

تساءل ديفيد باهتمام قائلًا:

- وماذا يعني ذلك؟

- يعني أنّ روايتهما كلّها كاذبة، فلمْ يتمّ اكتشافه ولا تدميره ولا إخفاء إشارة الجهاز الفائق وحمايته مني.

- ولماذا كانت كلّ تلك الألاعيب منهما؟

حكّ جلعاد رأسَه بعنف، وهو يحاول اعتصار رأسِه قائلًا:

- لقد كانت كلّ لهفته على تشغيل مضادّ الفيروس، وقد حدث، فلو كانت بُغيته تنظيف الجهاز الفائق من الفيروس المزروع به، لما جائني تنبيهٌ باستعادة العمل عليه، لماذا كان يريدُ تشغيلَ مضادّ الفيروس، أثق بأن هذه كانت غايته الوحيدة!

- لقد سرقاه منك، قدْ يكون زميله الغائب عن الوعي مَن يقوم بمحاولة السرقة في الخفاء.

- نحن مَن سعينا إليهما، وقد وجدناهما على هذه الحالة منذ خروجهما من السفارة المصرية، وحتى هروبهما من مارتين أيرون عند المركز الطبي، وبالتالي لم يكنْ فاقدُ الوعي ممثلًا يحاول إخفاء شيء عنا.

- ولكنه هبط من سيارتنا على قدميه!

ضاقت حدقتا جلعاد متفكرًا، واتسعت عيناه، وتموّهت ملامحه، والذّهول يكادُ أن يلتهمه، وقال بصوت متحشرج:

- مِن المستحيل هذا!

سأله ديفيد قائلًا:

- عن أي مستحيل تتحدث؟

قلّب جلعاد كفّيه قائلًا:

- الحاسوب الفائق، لقد كان بحوزتنا طوال الوقت، ولكنْ كيف هذا؟!

سأله ديفيد في حيرة قائلًا:

- لا أفهم شيئًا ممّا تقول، اشرح الأمر بمنتهى البساطة حتى أدرك عما تتحدث.

- لقد كان مطلبه الحثيث تشغيلَ مضاد الفيروسات، وبعد تشغيله بقليلٍ استفاق الشابّ الثاني، فطالبني الأول بسرعة غلق جهازي، ولو تتذكّر لقد خرجا من السفارة والأول فاقدٌ للوعي، انتظر قليلًا.

وقام جلعاد بتشغيل ما معه مِن تسجيلات لكاميرات المراقبة، حتى وجدَ مشهدَ سقوط رامي وهو يتلوّي ويتشنّج، فنظر إلى التوقيت وقال:

- تمامًا، لقد وقع فوْر زرع فيروسي بالجهاز الفائق، هل أدركتَ ما أعني؟!

قال ديفيد بضجر:

- لا تقلْ لي بأن هذا الشاب مجرد روبوت يحمل قدرات حاسوب فائق!

- الروبوت لا يفقدُ الوعي، إنه بشريّ تمامًا، ولكن يحمل بداخله شريحة إلكترونية تحوّله إلى حاسوب فائق.

- وكيف توصّلت الشرطة إلى ذلك؟!

- لا تثق كثيرًا في أمر انتمائهما للشرطة هذا، دعْك من كلّ ذلك، يجب العثورُ عليهما بسرعة، لا تجعل هذا الصيد يفلتُ من أيدينا مهما كان الثمن، لقد استفاق الشابّ لمجرد تشغيل موجات مضادّ الفيروس، ولو استمرّ تشغيله فترة أكبرَ لتخلّص منه تمامًا، فلنَلحق بهما قبل تخلّصهما من فيروسي الحبيب بشكلٍ نهائي، وقد علمَا سرّه وسرّ المضاد الخاص به.

أخرج ديفيد جوّاله وهو يشعر بالضجر، قائلًا:

- لنا مصالح مشتركة مع مارتين أيرون، وأعتقد سهولة موافقته على بيْعه لنا بالثمن المناسب.

ضغط زرّ الاتصال، وبعد قليل ردّ عليه مارتين متسائلًا عمّا يريد، وارتفع حاجباه دهشة قائلًا:

- تريدهما وبأي سعر؟

- نعم، أقصد ذلك.

فردّ مارتين ساخرًا:

- لماذا لم تتصل منذ دقائق، لقد فاتَ الأوان.

- ماذا تعني؟

- يمكنك الحصولُ على جثتيهما أسفلَ ناطحة السحاب رقم 254 بشارع فينوكس.

ضرب ديفيد مسندَ مقعده بقوة في غيظ، وأغلقَ الخطّ وهو يقول لجلعاد:

- لقد قتلهما الوغد.

ضغط جلعاد على أسنانه في غيظ، وقد فاته أروعُ ما كان يحلم به، ولكنْ برقت عيناه عندما تواردَ لذهنه الفكرة الجديدة قائلًا:

- هل يمكن الحصولُ على جثة ذلك الشاب؟ بعد التشريح يمكن انتزاع الشريحة منه ودراستها.

أشار ديفيد بأصبعه نحوه مشيدًا بفكرته، وانطلق بسيارته مسرعًا إلى العنوان الذي ذكره له مارتين أيرون.

*****

وفي نفس التوقيت، التفت مارتين أيرون إلى شريف قائلًا:

- يبدو أنّ سعريكما قد ارتفع، هناك مَن يريد الدفع بشيكٍ مفتوح، مقابل الحصول عليكما!

بيأس يجتاحه لمْ يُعِر شريف الأمرَ اهتمامًا، وقد أدرك بأن أمرَ موتهما قد أصبح حتميًّا، فاستطرد مارتين قائلًا:

- ولكن كلّ أموال الدنيا لا تساوي شيئًا مقابل الحفاظ على سمعتي وكرامتي.

قال شريف بشحوب:

- لقد مللتُ سماعَ صوتك القبيح، متى ستلقي بنا؟

ضغط مارتين بغيظٍ على أسنانه قائلًا:

- فوْر إعداد الكاميرات التي ستلتقطُ مشهدَ مصرعكما بمختلف الزوايا لنَشْره على اليوتيوب وبعض القنوات؛ ليعلم الجميع ماذا فعل مارتين أيرون بخصومِه مجددًا، ولتذهب العبرةُ إلى مستحقّيها.

لم يردّ عليه شريف، وبعد قليل، وصلَ لمارتين إشارة التّنبيه بإتمام الاستعداد، فأشار نحْو الرجلين الممسكيْن برامي وشريف، فجذباهما بعنفٍ نحو الحافة، ورامي يصرخ برعبٍ، ومشهدُ مصرعه يتكرر للمرة الثانية بنفس السيناريو السابق، تُرى هل سيموت حقًّا هذه المرة أم سينتقلان مجددًا لبقعة جديدة وجحيم جديد، قد لا يكونُ لهما قِبَلٌ به، عبْر فجوة الأهوال تلك؟!

أمسك رامي بتلابيب شريف، كأنما يستمدّ القوة منه، وأخيرًا دفعهما الرجال نحو الهاوية، ومارتين ينتشي على نغماتِ صرخات رامي، وأخذَ يرقب الشاشة الكبيرة التي تنقلُ له التصوير الدقيق لهما أثناءَ رحلة السقوط الطويلة من الطابق المائة والسبعين، كوحشٍ ساديّ تمّ التركيز على وجوه الضحايا، رامي تتمعّر ملامحُه، ولا يكفّ عن الصراخ، شريف يغمض عينيه، وشفتاه تتحرّكان بكلمات لا يدركها، وفجأةً كوميض فلاشٍ إحدى الكاميرات الضوئية القديمة، انطلق ضوءٌ مُبهر سريع، غشي الشاشة بشكلٍ كامل، وظلّ

ثابتًا كأنما قدْ تعطّلت الشاشة لثوان، وبعدها عادت لاستعادة وظائفها، ولكنْ كانت خاوية تمامًا من المشهد الممتع والمسلّي له، فقد اختفى شريف ورامي تمامًا من جميع زوايا التصوير، ولا أثر لهما مطلقًا بأي مكان!

وفي نفس التوقيت، برز شريف ورامي ببئر المصعد ليجِدَا د. شيرين ود. محمد إسماعيل أمامَها، فهتف شريف بصوتٍ واهن قائلًا:

- د. إسماعيل، د. شيرين.. الحمد لله.

*****

تمت بحمد الله

انتظرونا في العدد القادم بإذن الله

"السّرّ الكبير"